الفصــل الأول

التطرف الدينى

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمــــة

ظاهرة التطرف الدينى ظاهرة عالمية تشمل العالم بأجمعه ولا تقتصر على قطر دون آخر، وهى ظاهرة قديمة قدم الإنسانية، كما سبق وأن ذكرنا فى المدخل التمهيدى، فما ظهر دين أو مذهب أو نظام وإلا كان من بين أعضائه أو أنصاره معتدلون ومتطرفون، وتقع الخطورة فى التطرف فى القاعدة الفكرية والاقتصادية التى ينطلق منها، كذلك درجة اتساعها ومدى التعاطف والتشجيع الذى يلقاه هؤلاء المتطرفون فى بداية نشاطهم، باعتبارهم مظهراً من مظاهر الانبعاث الدينى أو الصحوة الدينية.

ويصعب فى كثير من الأحيان رؤية مداخل التطرف ومظاهر العلاج والانحراف فى منهج وأفكار وأسلوب بعضهم من الدعوة وأسلوب العمل، فهذه الظاهرة لها أبعادها الاجتماعية والسياسية والدينية والنفسية، فهى إذاً ظاهرة مركبة ومن ثم لا ينبغى أن يكون تشخيصها وعلاجها منحصراً فى إطار منظور واحد فقط مهما بدت له من أهمية واعتبار.

كما نؤكد على أن هؤلاء المتشددين موجودون فى كل فكر ومذهب وملة، وبحكم الطبيعة البشرية السوية الأكثر ميلاً إلى اليسر والاعتدال فإنهم يمثلون أقلية واستثناء من القاعدة، وإن ارتبط حجمها بطبيعة المناخ العام، الذى قد يوفر عناصر الاعتدال كما أنه قد يدفع الناس والشباب فى المقدمة إلى التشدد والتطرف.

ومن ناحية أخرى، نشير إلى أنه فى كل بلاد الدنيا يوجد متطرفون - دينيون وغير دينيين - لكن أسلوب التعامل مع التطرف يختلف من بلد إلى آخر؛ هناك بلدان يفزعها التطرف ويهز كيانها وهناك بلدان أخرى تستوعبه وتعالجه بثقة واطمئنان، وهناك بلدان ثالثة تستخدمه وتوظفه ليصب فى مجرى المصلحة العامة فى نهاية المطاف.

فى هذا الإطار، نؤكد على أننا نقرأ فى الصحف كل يوم الكثير عن ممارسات المتطرفين فى أوروبا الغربية وأمريكا واليابان، ولا نجد أثراً لدعوات الداعين إلى تجهيز المحارق وتعليق المشانق، وفى إسرائيل أحزاب متطرفة لها كتلة فى الحكومة والبرلمان، وهؤلاء الغلاة المتشددون المتطرفون جميعًا يؤدون دوراً فى خدمة مخططات البلاد.

وتأكيداً على أن التطرف الدينى ظاهرة عالمية يقول «أحمد كمال أبو المجد» أنه حاور عشرات من الشباب الذين يقفون عند الخط الفاصل بين التدين والتعصب فى الجامعات المصرية وفى عواصم أوروبية وجامعات أمريكية وعربية، فوجد أن ثمة منابع مشتركة يستمدون منها فكرهم، وأن هناك تشابهًا فى المراحل التى يختارها بعضهم فى انتقاله من الدعوة الهادئة إلى الحماس المشتعل ثم إلى الغضب المدمر، مما يكشف فى النهاية عن عالمية ظاهرة التطرف.

ومن ناحية أخرى، يرى البعض أن التطرف ظاهرة مرضية على المستويات النفسية الثلاثة: المستوى العقلى أو المعرفى، المستوى العاطفى أو الوجدانى، والمستوى السلوكى.

فعلى المستوى العقلى، يتسم هذا المرض بانعدام القدرة على التأمل والتفكير وإعمال العقل بطريقة مبدعة وبناءه، وعلى المستوى الوجدانى أو العاطفى، يتسم المتطرف بالاندفاعية الوجدانية وبشدة الانفعال والتطرف فيه، فالكراهية مطلقة للمخالف فى الرأى أو للمعارض أو حتى للإنسان بصفة عامة، بما فى ذلك الذات وهى كراهية مدمرة، والغضب ينفجر بلا مقدمات ليدمر كل ما حوله أو أمامه، وعلى المستوى السلوكى، نجد أيضًا الاندفاعية من دون تعقل ويميل السلوك دائمًا إلى العنف، ولو أن هذه الحالات معدودة ومحدودة لكنا بصدد ظاهرات فردية يمكن أن يتناولها بالعلاج الأخصائيون أو الأطباء النفسيون، ولكان تهديدها للمجتمع محدوداً، لكننا على العكس من ذلك إزاء ظاهرة عامة.

فى ضوء الرأى السابق، أرى أن السياسيين متطرفون حين نجدهم يسلمون بفكر وباتجاه لا يقبل النقاش، ويرفضون رفضًا قاطعًا الرأى الآخر ويكرهون من يحمل هذا الرأى، والمعلمين متطرفون حين يفرضون على تلاميذهم الرأى والفكر والمعرفة ولا يقبلون منهم نقاشًا أو حواراً أو رأيًا، والإعلاميين متطرفون حين يفرضون آراءهم وقيمهم وفلسفتهم على الجماهير، والموظفين الحكوميين متطرفون حين يتمسكون تمسكًا جامداً أعمى بتفسيراتهم لنصوص القوانين، وفى الأسرة يسود التطرف حين يفرض الآباء قراراتهم على الأبناء، ... إلخ.

والتطرف كظاهرة اجتماعية يختلف عن الجريمة أو الجناح، فالجريمة بالمعنى السوسيولوچى هى خروج على القواعد الاجتماعية أو القانونية بسلوك متناقض لما تقتضى به هذه القواعد، أما التطرف فهو حركة تبدأ فى حدود القواعد الاجتماعية والقانونية ثم يبالغ فى حركته حتى يتجاوز مداه الحدود التى يرتضيها المجتمع.

فالسلوك المتطرف والسلوك المنحرف يتفقان فى اعتبارهما سلوكًا يخرج عن نطاق القيم والمعايير السائدة فى المجتمع الواحد، ومن ناحية أخرى وبالرغم من أن التطرف والانحراف يتفقان فى اعتبارهما خروجًا عن القيم والمعايير الاجتماعية إلا أنه يوجد فرق أساسى بينهما يتمثل فى أن الانحراف يؤدى دائمًا إلى نتائج سلبية معوقة وظيفيًا للمجتمع، بينما تكون نتائج التطرف سلبية وقد تكون أحيانًا إيجابية.

وعن لجوء الجماعات المتطرفة إلى الدين أرى أن هذه الجماعات الهامشية تعيش خبرات انفعالية شديدة تخلق بداخلها مشاعر القلق والتوتر وعدم الإشباع الانفعالى، وأنها بلجوئها إلى الدين تستطيع تحقيق قدر من الإشباع الانفعالى والتخلص من القلق والتوتر.

ونؤكد على ما سبق، بالإشارة إلى أن قيام أى حركة دينية أو ثورية تعطى للأفراد المهمشين الأمل وتثير لديهم روح التضامن مع الجماعات الأخرى مما يؤدى إلى انهيار الجوهر السيكولوچى والسوسيولوچى لثقافة الفقر.

obeikandl.com

وفى هذا الإطار، يؤكد الباحثون أيضًا على أن الجماعات الدينية السياسية التى تتجه اتجاهًا متطرفًا لا تعنى على الإطلاق أنها تمتلك جرعة إيمانية أزيد من الآخرين، وانطلاقًا من ذلك فالتطرف الدينى ليس جرعة زائدة من التدين، بل هو موقف سياسى محدد يأخذ من الدين ساتراً له، فالدين ليس له دخل فى التطرف أيًا كان نوعه - دينى، سياسى، اجتماعى ... إلخ - ولذا يرى البعض أنه لا ينبغى أن نقول: تطرفًا دينيًا؛ لأن الدين حامل لكل معانى الخير للناس، بعيداً كل البعد عن التعصب والتشدد والمغالاة والتطرف الدينى.

ومن خلال هذا الفصل، سوف نتناول بالعرض والتحليل عدة أبعاد على النحو التالى:

١ - التطرف الدينى وبعض المفاهيم المرتبطة به.

٢ - أنواع التطرف.

٣ - مظاهر التطرف الدينى.

٤ - المحددات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للتطرف الدينى.

٥ - دوافع التطرف الدينى.

٦ - النظريات المفسرة للتطرف الدينى.

٧ - موقف الدين الإسلامى من التطرف الدينى.

(١) التطرف الديني وبعض المفاهيم المرتبطة به

أ - تعريف التطرف الديني

التطرف بوصفه مفهومًا لم يتم تحديده بصورة قاطعة بعد، فجميع الدراسات التى تصدت لدراسة التطرف وعلاقته بمتغيرات الشخصية المختلفة كانت تبحث عن مضمون تلك العلاقة دون النظر إلى تحديد المفاهيم القائمة عليها، لذا لا يوجد تعريف محدد يمكن الرجوع إليه والاستناد عليه لتعريف التطرف .

ومن ناحية أخرى، نؤكد على اختلاف منطلقات الباحثين الذين تناولوا دراسة التطرف، وكيف اختلفت المعانى التى خلعوها على الاستجابات المتطرفة وأنهم تغاضوا عن وضع تعريف محدد للتطرف، واكتفوا بدراسة الاستجابات المتطرفة ليس فى حد ذاتها ولكن فى علاقتها بمضامين نفسية أخرى كالتصلب والتوتر والنفور من الغموض وغيرها.

انطلاقًا مما سبق نشير إلى أن مفهوم التطرف من المفاهيم التى يصعب تحديدها أو إطلاق تعميمات بشأنها، وترتبط هذه الصعوبة بالمعنى اللفظى والذى يشير إلى أنه تجاوز حد الاعتدال، وهو معنى نسبى يختلف من زمن لآخر ومن مجتمع لآخر، وفقًا لنسق القيم السائدة فيه فما يعتبر تطرفًا فى زمن ما قد يكون مقبولاً فى زمن آخر، وما ينظر إليه على أنه تطرف فى مجتمع ما قد يكون مألوفًا فى مجتمع آخر.

والاعتدال يتغير مدلوله بتغير البيئات والحضارات والثقافات والديانات، وترتبط هذه الصعوبة أيضًا فى تحديد مفهوم التطرف بأن حركته فى بدايتها تكون فى حدود القواعد المقبولة اجتماعيًا، ثم تتجه إيجابًا وسلبًا إلى حركة غير محسوسة يصعب معها تحديد النقطة التى يتجاوز عندها حد الاعتدال ويبلغ حد التطرف.

وفيما يلى عرض لأهم التعريفات التى تناولت مفهوم التطرف بصفة عامة، ومفهوم التطرف الدينى بصفة خاصة.

(١) التعريفات اللغوية (التطرف فى اللغة)

جاء فى لسان العرب لفظ «تطرف» بمعنى الناحية من النواحى، حيث إن طرف كل شىء منتهاه، واستشهد «ابن منظور» بالآية الكريمة: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرعد: ٤١].

وجاء فى المعجم الوسيط: لفظ تطرف بمعنى تجاوز حد الاعتدال ولم يتوسط، فالطرف من كل شىء منتهاه واستشهد على هذا المعنى بالآية الكريمة: ﴿وأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾ [هود: ١١٤].

وإنما جاء لفظ تطرف فى المعجم العربى الأساسى: بمعنى جاوز حد الاعتدال فالتطرف بهذا المعنى فى اللغة العربية هو الغلو والتشدد وتجاوز حد الاعتدال.

وفى قاموس «اكسفورد» جاء تحت «Extremity» العديد من المعانى نذكر منها:

* التطرف هو: النهاية القصوى فى أى خط أو سلسلة متدرجة.
* التطرف هو: شدة المغالاة أو العنف فى الانفعال أو السلوك.
* التطرف هو: الغلو فى الاعتقاد والسلوك.

أما قاموس «Standard Dictionary» فقد جاء تحت التطرف «Extremity» العديد من المعانى التى تتفق مع ما جاء به قاموس اكسفورد من تعريفات. ومن هذه التعريفات، أن التطرف هو راديكالية الاعتقاد.

(٢) التعريفات الإحصائية

تمثلت فى تعريف ولش وكوجن Wallach and Kogen حيث أشارا إلى أن الأحكام تعتبر أكثر تطرفًا باتجاهها فى انحرافها نحو قطب المتصل أى فوق أو تحت النقطة المركزية فى مقياس شبيه بمقياس الاتجاهات .

وأيضًا أشار «يوسف عز الدين» إلى أن نقطة التطرف هى التى تتجه فى انحرافها من منطلق النزعة المركزية نحو قطب المتصل أى تتجه فى انحرافها إما فوق أو تحت نقطة الوسط.

(٣) التعريفات الدينية

يعرف «محمد سعيد العشماوى» التطرف بأنه مجاوزة حد الاعتدال باللغو والتشدد فى أى شىء أو أى فكرة أو رأى أو اعتقاد، وهو من ثم كما يكون فى الأمور العادية والشئون الجارية يكون فى التدين، خاصة إذا سقط التدين من محيط العقل ليدور فى فلك العاطفة أو إذا نقصه العلم أو شابه الجهل أو إذا اختلط بالتخريب أو اقترب من السياسة أو اقترن بها، أو إذا حركته الأوهام أو إذا ساقته المطامع، أو إذا تخلله ما إلى ذلك من أمور تخرج التدين عن نطاقه الطبيعى ومجاله الفطرى لتقذف به فى ظلمات التطرف.

أيضًا عرف «محمد الدسوقى» التطرف الدينى بأنه «اتخاذ الفرد موقفًا متشدداً يتسم بالقطعية فى استجاباته للموضوعات وفيما يقوم به من ممارسات ذات طابع دينى.

كما عرفت «إيمان عبده حافظ» التطرف الدينى بأنه الغلو والتشدد فى فهم أمور الدين، دون أساس علمى أو دينى أو عقلى.

كذلك عرف «محمد بيومى» المتطرف دينيًا بأنه فرد يبدأ متدينًا عاديًا ثم يتجه نحو التشدد مع نفسه أولاً ومع الناس، ثم يتجاوز ذلك إلى إصدار أحكام قاطعة بالإدانة على من لا يتابعه فى مسيرته ثم اتخاذ موقف ثابت ودائم من المجتمع ومؤسساته وحكومته، يبدأ هذا الموقف عادة بالعزلة والمقاطعة المبنى على إصدار حكم فردى على هذا المجتمع بالردة، ثم يتحول هذا الموقف الانعزالى عند البعض إلى موقف إيجابى عدوانى، يرى معه المتطرف أن هدم المجتمع ومؤسساته هو نوع من التقرب إلى الله وجهاد فى سبيله، لأن هذا المجتمع - فى نظر المتطرف - هو مجتمع جاهل منحرف لا يحكم بما أنزل الله.

بينما استخدم «محمد أحمد» تعبير «التطرف الفكرى» للإشارة إلى التطرف عن التدين، كما استخدم تعبير «الغلو والتشدد فى الدين»، وإن كان قد ميز بين ظاهرة نمو المشاعر الدينية باعتبارها ظاهرة صحية لا يمكن التصدى لها وبين التطرف الفكرى، كما فرق بين التطرف الفكرى، والتطرف فى السلوك على أساس أن الأول يدفع صاحبه إلى التشدد فى فهم أحكام الشريعة والتمسك بظواهر النصوص، أما التعبير الثانى فيعنى محاولة فرض الرأى بالقوة مؤكداً خطأ هذه الممارسات.

كما يعرف «أحمد الجندى» التطرف بأنه مجاوزة حد الاعتدال، وقد استخدم مصطلح التطرف فى الأدبيات السياسية والاجتماعية فى المجتمعات الغربية أولاً ثم شاع استخدامه فى العالم العربى وخاصة فى الآونة الأخيرة.

ومن ناحية أخرى يعرف «محمود حمدى زقزوق» التطرف بأنه تجاوز الحد المعقول، والبعد عن حد الاعتدال، وحد الاعتدال هو الوسطية.

(٤) التعريفات الاجتماعية

يعرف «سعد الدين إبراهيم» التطرف بأنه الخروج عن الوسط، أو البعد عن الاعتدال أو اتباع طرق فى التفكير والشعور غير معتادة لمعظم الناس فى المجتمع، والإيمان العميق بصحة هذه الطرق وصلاحها والاستعداد للتضحية فى سبيلها.

بينما يعرف «سمير نعيم» التطرف بأنه ليس كما يشاع خروجًا عن المألوف أو عما تعارف عليه الناس فى المجتمع فى فترة زمنية ما، ذلك أن كل التطور الحضارى العالمى فى جميع المجالات الاجتماعية والعلمية والثقافية والسياسية قد مثل خروجًا عن المألوف وعما اعتاد عليه الناس، بل إن الأديان السماوية بذاتها كانت خروجًا عما ألفه الناس، والأهم من هذا كله أن النظر إلى التطرف بهذه الكيفية هو نفسه وقوع فى نهج المتطرفين، وهم بدورهم من وجهة نظرهم يعتبرون كل فكر وسلوك رشيد أو علمانى خروجًا عن المألوف الذى كان سائداً كما يدعون فى فترة من فترات التاريخ الإنسانى، وعلى هذا فتعريف

التطرف كما يرى «سمير نعيم» بأنه الخروج عن المألوف إنما هو تجسيد للمجتمع الإنسانى بأسره بل هو التطرف بعينه، وفى ضوء ذلك يرى «سمير نعيم» أن التطرف وفقًا للتعريفات العلمية بدوائر المعارف العالمية والعلوم الاجتماعية مرادف للكلمة الإنجليزية «Dogmatism» أى الجمود العقائدى والانغلاق العقلى وهذا فى الواقع هو جوهر الفكر الذى تتمحور حوله كل الجماعات المسماة المتطرفة.

كما عرف «سيد عويس» التطرف بأنه التعصب فى الرأى وتجاوز حد الاعتدال فيه وما يترتب على هذا التعصب من ألوان من السلوك الإنسانى العنيف أحيانًا واللاإنسانى أحيانًا أخرى.

أيضًا عرف «على ليلة» التطرف بأنه حالة من التعصب للرأى تعصبًا لا يعترف معه بوجود الآخرين، وجمود الشخص على فهمه جموداً لا يسمح له برؤية واضحة لمصالح الخلق، ولمقاصد الشرع، ولظروف العصر، ولا يفتح نافذة للحوار مع الآخرين وموازنة ما عنده بما عندهم والأخذ بما يراه بعد ذلك أنصع برهانًا وأرجح ميزانًا.

كذلك يشير بعض الباحثين إلى التطرف بأنه أسلوب مغلق للتفكير يتسم بعدم القدرة على تقبل أية معتقدات تختلف عن معتقدات الشخص أو الجماعة أو التسامح معها ويتسم هذا الأسلوب بنظرة إلى المعتقد تقوم على ما يلى:

١ - أن المعتقد صادق صدقًا مطلقًا وأبديًا.

٢ - يصلح لكل زمان ومكان.

٣ - لا مجال لمناقشته ولا للبحث عن أدلة تؤكده أو تنفيه.

٤ - إدانة كل اختلاف عن المعتقد.

٥ - فرض المعتقد على الآخرين بالقوة.

٦ - المعرفة كلها بمختلف قضايا الكون لا تستمد إلا من خلال هذا المعتقد دون غيره.

٧ - الاستعداد لمواجهة الاختلاف فى الرأى أو حتى التفسير بالعنف.

بينما عرف «محمد بيومى» التطرف بأنه لا يعنى التمسك ببعض الآراء الفقهية المتشددة، ولكن التطرف اتجاه عقلى يجعل الفرد يؤمن بأن أفكاره واعتقاداته هى الصحيحة، ومن ثم يتشدد فى الحكم على الآخرين إما باتباعها أو الحكم عليه بالكفر.

٥ - التعريفات النفسية

تنقسم التعريفات النفسية لاتجاهين، الاتجاه الأول يركز على تناول التطرف كأسلوب للاستجابة التى تنحرف سلبًا وإيجابًا عن المتوسط ويتمثل ذلك الاتجاه فيما أشار «مصطفى سويف»، من أن الاستجابة المتطرفة تنقسم إلى الاستجابة المتطرفة الإيجابية، وهى دليل على مستوى أعلى من التوتر النفسى، والاستجابة المتطرفة السلبية وهى مقياس لقوة الأنا، وقد سار على هذا المنهج الكثير من الباحثين الذين اعتبروا المتطرفين وفقًا لهذا الأساس هم الذين يحصلون على أعلى الدرجات على مقياس التطرف العام (±٢)، أما الاتجاه الثانى فهو الاتجاه الذى ركز على معنى التطرف.

وفيما يلى بعض التعريفات النفسية للتطرف:

عرف «سعيد نصر» التطرف بأنه يتمثل فى الاستجابة الأكثر تطرفًا التى تنحرف إلى أعلى «High Extremity» أو إلى أسفل «Low Extremity» عن التقدير المتوسط أى أن الحاصلين على أعلى الدرجات وأقل الدرجات على مقياس دراسته، هم أكثر الناس تطرفًا فى أحكامهم، بينما الحاصلون على الدرجات الوسطى منهم هم المعتدلون فى أحكامهم.

أما «طه المستكاوى» فقد اعتبر أن السلوك المتطرف سلوك شاذ وأن السلوك المعتدل سلوكًا سويًا وأن المتطرفين هم الذين يحصلون على أعلى وأقل الدرجات على مقياس الاتجاهات الدينية بالمقارنة بباقى أفراد العينة الكلية، وقسم المتطرفين إلى فئتين فرعيتين هما:

أ - فئة المتطرفين إيجابًا فى اتجاهاتهم الدينية.

ب- فئة المتطرفين سلبًا فى اتجاهاتهم الدينيــــة.

بينما عرف «رزق سند» التطرف بأنه اتخاذ الفرد موقفًا متشدداً يتسم بالقطعية فى استجاباته للمواقف الاجتماعية التى تهمه والموجودة في بيئته التى يعيش فيها هنا والآن، وقد يكون التطرف إيجابيًا فى اتجاه القبول التام أو سلبيًا فى اتجاه الرفض التام ويقع الاعتدال فى منتصف المسافة بينهما.

فى حين عرف «محمد الشيخ» التطرف بأنه تعبير عن ارتفاع مستوى التوتر النفسى العام، ومفهوم التوتر فى هذا السياق يقصد به الأساس الدينامى القائم وراء الشعور بتهديد الطمأنينة أو بتهديد أى اتزان قائم بالنسبة للشخص ككل أو لجانب من جوانبه بالنسبة لأحد اهتماماته مثلاً، مما يترتب على ذلك من تحفز للقضاء على هذا التهديد.

كما عرف «محمد عبد الظاهر» التطرف بأنه ظاهرة يمكن أن تكون ثورة على الواقع إن لم يكن ذلك الواقع مقنعًا أو كافيًا، أو قد تكون هروبًا من ذلك الواقع إذا كانت الثورة عليه مستحيلة.

بينما عرفت «أمينة الجندى» التطرف بأنه أسلوب للاستجابة يتمثل فيه خروج عن القواعد الفكرية والقيم والمعايير والأساليب السلوكية السائدة فى المجتمع، معبراً عنه بالعزلة والسلبية والانسحاب أو يتبنى قيمًا ومعايير مختلفة قد يصل الدفاع عنها إلى حد استخدام العنف والاصطدام بالمجتمع.

وأيضًا عرف «كورت ليفين K. Levvin» التطرف بأنه السلوك الذى يثبت على الاتجاه نحو هدف معين لا يتزحزح عنه أو مجموعة العادات التى يتمسك بها الفرد بشدة.

لكن «أندرسون Anderson» يعرف التطرف السلبى بأنه استجابة ساعية إلى السيطرة الاجتماعية أو إلى التعامل مع الآخرين تعاملاً يتجاهل ما قد تنطوى عليه شخصياتهم من غنى وتنطوى غالبًا على الصراع.

كذلك عرف «منصور الرفاعى» التطرف بأنه جنوح فكرى وسلوكى إلى أقصى طرف يمينًا أو يساراً وهو ينشأ من التناقض فى المصالح أو القيم بين أطراف تكون على وعى وإدراك لم يصدر منها، مع توافر الرغبة لدى كل منهما للاستحواز على موضع لا يتفق بل وربما يصطدم مع رغبات الآخرين، مما يؤدى إلى استعمال العنف الذى يؤدى إلى تدمير الجانب الحضارى فى الكيان البشرى.

بينما يعرف «أحمد محمد» التطرف بأنه الميل عن القصد، والقصد هو الطريق الوسط الميسر للسلوك، والمتطرف هو الذى يميل إلى أحد الطرفين ولا شك أن السير فيه شاق، غير مرغوب فيه، ومن هنا أطلق لفظ الوسط على الاعتدال أو على الشىء المعتدل بين طرفين غير مستقيمين، واختاروه طريقًا أمثل للسلوك، كما يشير «أحمد محمد» لقول علماء الأخلاق فى الفضيلة: أنها وسط بين رذيلتين، كالشجاعة وسط بين الجبن والتهور، وكالاقتصاد بين البخل والإسراف، وكما يعبر بعض الكتاب عن الاعتدال فى كل شىء لأنه البعد عن الإفراط والتفريط، والذى يحدد القصد ويعد الميل عنه انحرافًا قد يكون هو الدين، وقد يكون القانون، وقد يكون العرف الخاص أو العام، وقد يكون شيئًا آخر يوزن به الفكر والسلوك، ويطلق التطرف على الإفراط أى المغالاة فى الالتزام.

كما عرف «رشدى فام» التطرف بأنه خاصية إحصائية تنسب موقع الفرد المتطرف إلى موقع الفرد العادى فيبدو موقعه بعيداً عن المألوف أو المعتاد أو المتعارف عليه، أى أن التطرف هو ابتعاد عن متوسط ما، سواء عن يمينه أو عن يساره .

•• فى ضوء العرض السابق لتعريفات التطرف نستخلص عدداً من المؤشرات على النحو التالى:

١ - التطرف سواء كان «دينيًا - سياسيًا - اجتماعيًا ... إلخ» يقصد به الغلو والتشدد وتجاوز حد الاعتدال.

٢ - التطرف خروج عن الوسط الميسر للسلوك.

٣ - التطرف أسلوب يتسم بالجمود العقائدى والانغلاق الذهنى.

٤ - التطرف خاصية إحصائية تحدد موقع الفرد المتطرف بالنسبة لموقع الفرد العادى.

٥ - التطرف يتمثل فى الاستجابة الأكثر تطرفًا التى تنحرف إلى أعلى أو إلى أسفل عن المتوسط.

٦ - التطرف اتخاذ الفرد موقف متشدد يتسم بالتصلب والجمود.

٧ - التطرف تعبير عن ارتفاع مستوى القلق والتوتر.

٨ - التطرف يتسم بالتشدد والغلو فى فهم أمور الدين وفى الممارسات ذات الطابع الدينى.

وعلى الجانب الآخر .. فقد لاحظت أنه فى ضوء العديد من الدراسات والمؤلفات والكتابات السابقة، أن الباحثين يخلطون كثيراً بين مفهوم التطرف وبين كلٍ من مفهومى «التعصب والإرهاب» ومنعًا للوقوع فى مثل هذا الخطأ من ناحية، وتوضيحًا للفرق بين المفاهيم الثلاثة «التطرف، والتعصب، والإرهاب».

من ناحية أخرى، فقد رأيت - عزيزى القارئ - بعد عرض تعريفات التطرف، أنه من الضرورى توضيح أهم التعريفات التى تناولت التعصب والإرهاب كلاً على حدة .

ب- تعريف التعصب Prejudice

التعصب فى اللغة من العصبية ومعناها أن يدعو الرجل لنصرة عصبته والتحالف معهم على من يعاديهم ظالمين كانوا أو مظلومين، والعصبى هو من يعين قومه على الظلم وهو الذى يغضب لعصبته، والعصبة هم الأقارب من جهة الأب، والتعصب هو المحاماة والمدافعة.

وفى أصله الأوروبى يشتق مفهوم التعصب من الاسم اللاتينى « Prejudicium » وقد مر هذا المفهوم بثلاث مراحل حتى وصل إلى معناه الحالى:

١ - المعنى القديم وقصد به الحكم المسبق الذى يقوم على أساس القرارات والخبرات الفعلية.

٢ - وفيما بعد اكتسب المفهوم فى الإنجليزية معنى الحكم الذى يصدر عن موضوع معين قبل القيام باختبار وفحص الحقائق المتاحة عن هذا الموضوع فهو هنا بمثابة حكم متعجل مبتسر.

٣ - وأخيراً اكتسب المفهوم خاصيته الانفعالية الحالية، سواء بالتفضيل أو عدم التفضيل والتى تصطحب الحكم الأولى المسبق الذى ليس له أى سند يدعمه.

•• وفيما يلى عرض مختصر لأهم التعريفات التى تناولت التعصب:

يعرف « كلينبرج Klineberg » التعصب بأنه مشاعر أو استجابات خاصة تميز بعض الأشخاص وتكون سابقة لحدوث الخبرات الواقعية ولذلك لا تقوم على أساسها وهى ربما تكون إيجابية أو سلبية، وتوجه نحو أى موضوع من الموضوعات العديدة المتنوعة.

بينما يعرف «شريف Sherif» التعصب بأنه موقف معاد ضد الجماعات الخارجية وخاصة عندما لا يكون هناك تفاعل مباشر بين هذه الجماعات وبين الجماعة التى ينتمى إليها الفرد.

كما يعرفه «البورت Allport» بأنه التفكير السيئ عن الآخرين دون وجود دلائل كافية.

ويرى « كريتش Krech » أن التعصب هو اتجاه يتسم بعدم التفضيل نحو موضوع معين ينطوى على مجموعة من القوالب النمطية شديدة العمومية من الصعب تغييره حتى بعد توفر المعلومات المخالفة له.

بينما يرى «كينز كلارك Kenth Clark» أن التعصب السلبى يتمثل فى التعصبات ذات التأثير الضار والمهدد لوحدة وتكامل الأفراد والجماعات مثل التعصبات السلالية والاقتصادية والاجتماعية، أما التعصب الإيجابى فيكون له آثار اجتماعية وشخصية طيبة مثل التعصب ضد الأغذية الفاسدة، علاوة على ذلك هناك التعجب الحيادى والذى ليست له آثار ضارة أو نافعة مثل النفور الواسع النطاق من أكل لحوم الأحصنة.

وفى تعريف «روز Rose» يرى أن التعصب اتجاه سلبى نحو جماعة عنصرية أو دينية أو قومية.

وفي تعريف آخر لـ «شريف Sherif » يعرف التعصب بأنه اتجاه سلبى يتبناه أعضاء جماعة معينة مستمد من معاييرها القائمة ويوجه نحو جماعة أخرى وأعضائها الأفراد.

ويعرفه «سيمبسون وينجر Simpson and Yinger» بأنه اتجاه انفعالى متصلب نحو جماعة من الأشخاص.

ويرى «محمد الجوهرى» أن التعصب هو اتجاه عداء تجاه جماعات أخرى ربما كان مضمونه الحقيقى هو الخوف، وقد ينطوى فى حالات أخرى على الاحتقار والنفور، وليس من الضرورى أن يتحول هذا الاتجاه إلى إجراءات عملية فعالة للتميز بين جماعة الأغلبية من ناحية وجماعة أو جماعات الأقلية من ناحية أخرى.

كما يرى «فؤاد زكريا» أن التعصب مفهوم يتضمن عنصرين: أحدهما إيجابى والآخر سلبى، والعنصر السلبى هو اعتقاد المرء بأن الفئة التى ينتمى إليها سواء كانت قبيلة أم وطنًا أم مذهبًا فكريًا أو دينيًا، أسمى وأرفع من بقية الفئات، والعنصر السلبى هو اعتقاده بأن تلك الفئات الأخرى أحط من تلك التى ينتمى إليها.

ويعرف «مصطفى زيور» التعصب بأنه الحكم المسبق الذى يتخذه صاحبه إزاء جماعة أو أحد أفرادها دون سند من الخبرة أو الواقع ويشير الاصطلاح فى

الغالب إلى الحكم السلبى حيال هذه الجماعة عنصرية كانت أو قومية أو دينية، كذلك يتميز التعصب بصعوبة تعديله أو تغييره حتى فى ضوء الشواهد المنافية له كما أنه يتسم بالجمود وعدم المرونة والتعميم المطلق دون سند من الخبرة المباشرة.

فى حين يرى «مصطفى الخشاب» أن سلوك المتعصب يتميز بالنظرة الحادة الضيقة الأفق ويتصف بالبعد عن التعقل، والتصلب فى الرأى والخضوع لسيطرة الانفعالات الجامحة والاستهانة بالقيم والعرف الاجتماعى السائد متى كان لا يلتقى مع اعتقاده.

بينما يعرف «أسعد رزوق» التعصب بأنه موقف عدائى يصطبغ عادة بصبغة انفعالية عاطفية أو موقف تحبيذى من الأفعال والأشياء التى تنتمى لنوع معين أو من بعض الأشخاص.

أما «أحمد زكى بدوى» فيرى أن مصطلح «Prejudice» يعنى التحيز وليس التعصب ويعرفه بأنه اتجاه انفعالى فى الغالب يجعل الفرد يجتبى ناحية دون الأخرى، ويرجع ذلك إلى مشاهدات الفرد والإيحاء والتقليد والمعتقدات والتجارب المحدودة، وقد يكون صحيحًا أو خاطئًا. ويقال: التمييز السلالى أو العنصرى «Racial Prejudice»، لتحيز أفراد السلالة لسلالتهم دون السلالات الأخرى.

فى حين يعرف «عبد المنعم الحنفى» التعصب بأنه الحماس المفرط لفكرة أو قضية أو شخص وقد يؤدى إلى أفعال فيها خطورة على الشخص أو الناس، والمتعصب يمتص ويتقمص موضوع التعصب ولكنه لا يتعمق فى فهمه .

بينما يعرف «فتحى محمود» التعصب بأنه الانتماء لجماعة معينة مع الاتجاه العدائى تجاه الأفراد والجماعات الأخرى واتخاذ حكم مسبق حيالها وغالبًا ما يكون حكمًا سالبًا.

أما «حامد زهران» يرى أن التعصب اتجاه نفسى جامد مشحون انفعاليًا، أو عقيدة أو حكم مسبق مع أو - فى الأغلب والأعم - ضد جماعة أو شىء

أو موضوع ولا يقوم على سند منطقى أو معرفة كافية أو حقيقة علمية، ومن الصعب تعديله، ويجعل الإنسان يرى ما يحب أن يراه فقط ولا يرى ما لا يحب أن يراه فهو يشوه إدراك الواقع، ويعد الفرد أو الجماعة للشعور والتفكير والإدراك والسلوك بطرق تتفق مع اتجاه التعصب.

كما يعرف «طارق عبد الوهاب» التعصب بأنه حكم غير موضوعى، إيجابى أو سلبى وفى معظم الأحيان يكون سلبيًا يتسم بوجود مشاعر تتسق مع هذا الحكم، سواء بالتفضيل والتحبيذ للجماعة التى ينتمى إليها الشخص (التعصب الإيجابى)، أو مشاعر عدوانية رافضة للجماعات الأخرى أو لأشخاص معينين لأنهم أعضاء فى هذه الجماعات (التعصب السلبى).

•• فى ضوء العرض السابق لتعريفات التعصب نرى الآتى :

١ - التعصب هو تلك المعتقدات والاتجاهات المتعلقة ببعض المساوئ التى يراها فرد أو جماعة ضد أقلية عنصرية أو قومية.

٢ - التعصب اتجاه يتسم بعدم التفضيل ضد جماعة معينة يحط من قدرها ومن قدر كل أعضائها.

٣ - التعصب اتجاه يمثل استعداداً للتفكير والشعور والسلوك بأسلوب مضاد للأشخاص الآخرين بوصفهم أعضاء فى جماعات معينة.

٤ - التعصب نسق من المشاعر والتوجهات السلوكية المتصلة بأعضاء جماعة معينة.

٥ - التعصب أحكام مسبقة ومعتقدات خاطئة تتصل بأشخاص بعينهم أو موضوعات معينة.

٦ - التعصب اتجاه لا مبرر له وغير مرغوب فيه نحو جماعة عرقية أو دينية.

٧ - التعصب غلو فى التعلق بشخص أو فكرة أو مبدأ أو عقيدة بحيث لايدع مكانًا للتسامح.

obeikandl.com

٨ - التعصب يعنى التحيز مع أو ضد بعض الناس أو الآراء أو الأفكار.

٩ - التعصب اتجاه متصلب جامد نحو جماعة من الأشخاص.

١٠- التعصب موقف عدائى ضد الجماعات الخارجية.

١١- التعصب مجموعة من القوالب النمطية شديدة العمومية من الصعب تغييره حتى بعد توفر المعلومات المخالفة له.

١٢- أشكال التعصب المختلفة تتكون وتنمو قبل توفر الدلائل الموضوعية على صحتها.

(جـ) تعريف الإرهاب

من أصعب الأمور التى تواجه الباحث فى العلوم الاجتماعية والقانونية وضع تعريف للإرهاب، وعندما ننظر فى كتب الفقهاء نجد أن التعريفات عديدة والآراء كثيرة، ويوشك الفقه ألا يلتقى على تعريف إلا للأمور التى استقرت وتحددت وعرفت معالمها تمامًا.

وفى هذا الإطار نشير لوجود تعريفات متنوعة للإرهاب، فقيل إنه أى فعل يصدر من فرد أو مجموعة أفراد ضد فرد أو مجموعة أفراد، أو ضد المجتمع لأغراض سياسية، وقيل إنه استعمال العنف المادى للتأثير على الأفراد أو الجماعات أو الحكومة، وخلق مناخ من الاضطراب وعدم الأمن لتحقيق هدف معين يرتبط بتوجهات الجماعات الإرهابية ولكنه بصفة عامة يتضمن تأثيراً على المعتقدات أو القيم أو الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والعقابية والسياسية السائدة التى تم الاتفاق عليها بين المؤسسات والأفراد فى الدولة والتى تمثل مصلحة قومية عليا للوطن، ويمكن القول إن الإرهاب هو استخدام العنف المادى والأدبى لزعزعة الأمن والاستقرار فى البلاد وإثارة الفوضى والاضطراب فيها لتهيئة الجو المناسب لتحقيق أهداف سياسية مثل إضعاف نفوذ الدولة السياسى وتغيير نظام الحكم والاستيلاء على السلطة.

•• وفيما يلى عرض مختصر لأهم التعريفات التى تناولت الإرهاب:

يشير «أحمد أبو الوفا» إلى أن فكرة الإرهاب تقوم أساسًا على استخدام العنف لخلق حالة من الرعب والفزع قد تدفع إلى تقديم تنازلات معينة بخصوص مسألة محددة، وهكذا تقرر المادة (١، ٢) من اتفاقية منع الإرهاب والمعاقبة عليه المبرمة فى (١٦ نوفمبر سنة ١٩٣٧) تحت رعاية عصبة الأمم المتحدة - والتى لم تدخل دائرة التنفيذ - أن أعمال الإرهاب تشمل الأفعال الإجرامية الموجهة ضد دولة ما والتى ترمى أو يحسب لها أن تخلق حالة من الفزع فى عقول أشخاص معينين أو مجموعة من الأشخاص أو الرأى العام.

بينما يرى «عاطف فؤاد» أن مشكلة المفاهيم وتحديدها وما يرتبط بها من محاولات لتقديم أطر ونماذج للتفسير من المتعذر أن نجردها من أبعادها الأيديولوچية، لا سيما بالنسبة للمفاهيم السياسية والاجتماعية فمفهوم الإرهاب على سبيل المثال هو: «توصيف أيديولوچى لحالة من التوتر البنائى سياسيًا واجتماعيًا تخلعها السلطة السياسية على تلك الحالة» .

كذلك يشير «أحمد أبو العلا» إلى أن الإرهاب طبقًا للتعريف الذى وضعه المشرع المصرى فى المادة (٨٦ من القانون رقم ٩٧ لسنة ١٩٩٢) هو: كل استخدام للقوة أو العنف أو التهديد أو الترويع، يلجأ إليه الجانى تنفيذاً لمشروع إجرامى فردى أو جماعى بهدف الإخلال بالنظام العام أو تعريض سلامة المجتمع وأمنه للخطر، إذا كان من شأن ذلك إيذاء الأشخاص أو إلقاء الرعب بينهم أو تعريض حياتهم أو حرياتهم أو أمنهم للخطر أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بالاتصالات أو المواصلات أو بالأموال أو المبانى أو الأملاك العامة أو الخاصة أو احتلالها أو الاستيلاء عليها أو منع وعرقلة ممارسات السلطات العامة أو دور العبادة أو معاهد التعليم لأعمالها أو تعطيل تطبيق الدستور أو القوانين أو اللوائح.

كما يعرف «يحيى الجمل» الإرهاب بأنه ذلك النوع من الجرائم الذى يستهدف أساسًا ترويع مجتمع معين، ترويع الناس وإقلاقهم وإثارة الذعر فى

هذا المجتمع لأهداف لا يمكن أن تكون كريمة ولا يمكن أن تكون مشروعة والإرهاب يتمثل أساسًا فى أفعال تنطوى على عنف موجه لأفراد غير محددين بذواتهم وأحيانًا يكونون محددين، وهنا يختلط الإرهاب بالجريمة المنظمة، لكن الإرهاب يقصد أساسًا ترويع أناس آمنين لا ذنب لهم ومن هنا قد يختلف الإرهاب عن الجريمة المنظمة، فالجريمة المنظمة لها هدف واحد وهو ما يميزها عن الإرهاب الذى يكون عشوائيًا قصده أساسًا الترويع والإقلاق للمجتمع وبث الذعر فى نفوس الناس، فالإرهاب وصف لأنواع معينة لجرائم وأفعال تهدد الرأى العام وتصيبه بالذعر وتهدد الناس تهديداً عشوائيًا.

بينما يشير «مفيد شهاب» إلى أن الإرهاب فى القانون الدولى هو الاستخدام العمدى والمنظم لوسائل من طبعها إثارة الرعب بقصد تحقيق أهداف سياسية أو اجتماعية معينة دون أن يقصد من هذه الأفعال ارتكاب عنف ضد شخص معين أو أشخاص بذواتهم، لكن إثارة حالة من القلق والبلبلة العامة.

ومن هنا وكما يرى «مفيد شهاب» هناك عناصر مهمة لا بد من توافرها لكى نقول إن هذا إرهاب بمعيار القانون الدولى.

- **العنصر الأول:**

هو خلق حالة شديدة من الرعب والفزع وعدم الاطمئنان تحدث أثراً نفسيًا وبلبلة وقلقًا عند الناس وتحدث آثاراً جسمانية عند البعض منهم كقتل، وإصابة، ... إلخ.

- **العنصر الثانى:**

أن هذا الفعل الإرهابى يعتمد بطبيعته على استخدام وسائل عنف شديدة وعامة بطبيعتها مثلاً: اختطاف طائرة - احتجاز رهائن - إلقاء قنابل ومتفجرات، فهى كلها وغيرها أعمال غير مشروعة تتميز باستخدام عنف شديد.

- **العنصر الثالث:**

أن يكون الهدف منها هدفًا عامًا وليس إيذاء شخص معين بذاته وإنما أهداف متنوعة قد تكون سياسية أو اجتماعية أو مذهبية، وقد يكون الهدف منها هو المطالبة بشىء عاجل مثل إجبار هيئة أو نظام الحكم على أن يتصرف بطريقة معينة تجاه تنظيم معين أو غيره.

وأيضًا يعرف «أحمد جلال» الإرهاب بأنه استراتيچية عنف منظم ومتصل، استراتيچية أولاً وليس عملاً فرديًا وإنما هو عنف منظم ومتصل يثار من خلال حملة من أعمال القتل والاغتيال واحتجاز الرهائن وكل ما شابه ذلك من أفعال أو التهديد بها بقصد خلق حالة من الرعب العام، ويهدف تحقيق مطالب سياسية معينة، والمطالب السياسية هنا تشمل إكراه السلطة على اتخاذ قرار أو العدول عن اتخاذ قرار أو التأثير على اتخاذ القرار أو تغيير النظام الاجتماعى ككل، وليس هناك تفرقة فى هذا المجال بين المطالب السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية وإنما كلها تدخل تحت إطار المطالب السياسية لأنها فى النهاية تنتهى إلى إكراه السلطة السياسية للدولة على اتخاذ قرار معين أو الامتناع عن قرار.

بينما يضع «أحمد سعيد» مفهومًا للإرهاب يستند إلى أربعة أسس رئيسية:

أولاً : عنصر يقول إن الجريمة الإرهابية يجب أن يكون لها شكل من أشكال العنف أى أنه بدون عنف لا يوجد إرهاب، أى أن أول ما يميز الجريمة الإرهابية هو العنف وهذا محل اتفاق بين جميع الدول بلا استثناء.

ثانيًا: إن الإرهاب هو وسيلة لتحقيق غاية سياسية لأنه إذا كان الإرهاب بقصد تحقيق كسب مادى فهذا يعد ضمن إطار الجريمة المنظمة أو ضمن أى شكل آخر للجريمة، أما إذا كان الغرض من العنف هو تحقيق غاية سياسية أو هدف سياسى فإن هذا هو العنصر الثانى من عناصر الجريمة الإرهابية.

ثالثًا: لا بد أن تتضمن الجريمة انتهاكًا لحقوق الإنسان الفكرية أو السياسية أو العقلية أو البدنية ..... أو غيرها.

رابعًا: أن يكون لها طابع رمزى فعندما يأتى الإرهابى ويقتل شخصًا فإنه لا يقتله لذاته وإنما - فضلاً عن هذا - لكى يبث حالة من الرعب فى نفوس الآخرين.

كما يعرف «عبد العظيم رمضان» الإرهاب بأنه القتل العمد للمدنيين وتفجير أو نسف أو تخريب المنشآت غير العسكرية، واستخدام العنف أو التهديد به ضد المجتمع بوجه عام.

وأيضًا يعرف «دومينيك شوفالييه» الإرهاب بأنه عملية مسلحة عنيفة تقوم بها مجموعات صغيرة ضد إحدى الدول فى أشكال متنوعة وتسعى إلى النيل من المسئولين بهذه الدولة أو مواطنى الدولة نظراً لأن قتل المواطنين يهز الهياكل السياسية للدولة.

●● **تعقيبًا على تعريفات الإرهاب السابقة نستخلص الآتى:**

١ - معروف أنه فى العلوم الاجتماعية لا بد أن يتصف التعريف بأن يكون جامعًا مانعًا ولكن وكما أكد الباحثون فعملية وضع تعريف مانع جامع لموضوع الإرهاب عملية فى غاية الصعوبة إن لم تكن مستحيلة.

٢ - لاختلاف الآراء حول تعريف الإرهاب انتهت الأمم المتحدة فى المؤتمر الثامن لمنع الجريمة سنة ١٩٩٠، إلى أنه ليست هناك ضرورة لوضع تعريف للإرهاب لأن هذه المسألة مختلف عليها إلى حد أنه لا يمكن الوصول إلى اتفاق بشأن هذا التعريف، ولو اطلعنا على كتب الفقه نجد كتبًا ضخمة بدون الوصول إلى تعريف متفق عليه من الجميع، لكن رغم هذا الاختلاف أرى أن هناك معالم مشتركة بين التعريفات التى تناولت مفهوم الإرهاب على النحو التالى:

أ - الإرهاب استراتيچية تقوم أساسًا على استخدام القوة والعنف.

ب- لخلق حالة من الرعب والفزع والترويع والتهديد الموجه ضد المجتمع بوجه عام.

جـ- لتحقيق أهداف سياسية وليس الحصول على مكاسب مادية من وراء عملياته.

obeikandl.com

(٢) أنــواع التطـرف

يرى بعض الباحثين أن هناك خطأ شائعًا بتقسيم التطرف إلى أنواع مضمونية أو شكلية دون وضوح المعيار المنطقى لهذا التقسيم، فأحيانًا يصنف التطرف حسب مضمونه كأن يقال: تطرف دينى - أو تطرف طبقى - أو تطرف قومى - أو تطرف سياسى أو تطرف عنصرى - ... إلخ».

بينما يشير البعض إلى أن التطرف قد يكون إيجابيًا بناءً، وقد يكون سلبيًا هدامًا فهو كظاهرة اجتماعية يظهر فى صور متباينة منها: التطرف السياسى - التطرف الاجتماعى - التطرف الدينى - التطرف الفكرى والفنى.

فى حين يرى باحثـــون آخـرون أن أنواع التطرف تتمثل فى نوعين رئيسيين هما:

أ - التطـــرف فى الفكـر.

ب- التطرف فى السلوك.

وفيما يلى توضيح لهذين النوعين من أنواع التطرف:

أ- التطرف فى الفكر

الفكر قد يكون مجرد رأى وصل إليه العقل بطريقة أو بأخرى، وقد يكون عقيدة عند الاقتناع به وتحرك الوجدان نحوه وانفعال النفس به، انفعالاً يظهر أثره فى القلب حبًا أو كراهية، ومن السهل الانتقال عن الرأى إلى رأى آخر عند وضوح الرؤية لصاحبه، إما عن طريق الدليل الأقوى وإما عن طريق مؤثر آخر من المؤثرات الكثيرة التى تتدخل فى العمل العقلى.

أما العقيدة وهى الرأى الذى قواه الوجدان فمن الصعب العدول عنها، فهى تحتاج إلى حجة أقوى ومعالجة أشد وقد تزداد عمقًا ورسوخًا فى النفس، إذا كانت لها قدسية «كالعقيدة الدينية»، أو مر عليها زمن طويل وصارت تقليداً موروثًا.

فمن الانحراف فى الرأى التعصب لحكم اجتهادى ليس له دليل قاطع فى ثبوته أو دلالته كالتعصب لمسح كل الرأس فى الوضوء، ومن الانحراف فى العقيدة إنكار وجود الإله الخالق كما فى بعض الأيديولوچيات السياسية والنظريات الاقتصادية التى تعتبر الدين أفيونًا للشعوب.

ب- التطرف فى السلوك

السلوك إما قول باللسان وما يقوم مقامه من إشارة وكتابة ونحوهما وإما عمل بالجوارح الظاهرة والباطنة استقلالاً أو مشاركة، بطريق مباشر أو غير مباشر كإقرار عمل الغير والرضى به، والانحراف فيه قد يكون بترك فعل المطلوب أو التقصير فى أدائه، كترك الصلاة كلها أو ترك بعضها.

وأخطر أنواع التطرف كما يرى بعض العلماء، هو تطرف الفكر والبعد به عن القصد أى الطريق الوسط الميسر للسلوك، ذلك أن السلوك نابع منه ومتأثر به، وقد قال علماء الأخلاق والتربية إن كل عمل لا بُد وأن تسبقه خطوات: العلم به، ثم الاقتناع به، ثم توجه الإرادة لتنفيذه، فالسلوك بغير دافع من رأى أو عقيدة تخبط.

والتطرف بطرفيه الإفراط والتفريط فى الرأى والعقيدة يضر صاحبه والله وحده هو الذى يجازيه عليه ما دام لم يتعد نطاق الإنسان نفسه، ولكن خطورته التى يجب أن ننتبه إليها تكون عندما يجهر به ويحاول أن يفرضه على غيره أو يستميله إليه وهذا إضرار لا يقره الإسلام.

وكذلك التطرف فى السلوك غلوا أو إهمالا يضر صاحبه فقط إذا لم تكن له صفة اجتماعية تؤثر على علاقته بالغير، وإن كان له تأثير ضار - إلى حد ما - إذا كان فى مقام القدوة كالأب فى الأسرة، المربى مع تلاميذه، الرئيس مع مرءوسيه، فالمحاكاة والتقليد من أهم وسائل التربية والتأثير على السلوك.

وتعقيبًا على ما سبق، أرى أن للتطرف أنواعًا متعددة أشار إليها بعض الباحثين: كالتطرف الدينى - التطرف السياسى - التطرف الاجتماعى - التطرف الفكرى - التطرف السلوكى - التطرف الطبقى - التطرف العنصرى - ... إلخ».

ومن الملاحظ وجود اختلاف بين الباحثين عند عرضهم لتلك الأنواع وهذا الاختلاف فى الواقع يقتصر على الشكل فقط دون المضمون بمعنى أن هناك باحثين يقسمون أنواع التطرف إلى نوعين فقط: تطرف فكرى وتطرف سلوكى، بينما يشير البعض الآخر لأكثر من نوع للتطرف «الدينى - السياسى - الاجتماعى ... إلخ»، وذلك دون إخلال بالمضمون ذاته، فى حين يطالب البعض بضرورة وضع معيار منطقى واضح فى ضوئه يمكن تقسيم أنواع التطرف، وسوف يقتصر - عزيزى القارئ - هذا الكتاب على نوع واحد من أنواع التطرف وهو التطرف الدينى.

(٣) مظاهر التطرف الدينى

اهتم بعض الباحثين «السوسيولوچيين والسياسيين» بتحديد وعرض مظاهر التطرف الدينى، أو كما يشير البعض بمظاهر التطرف عن الدين، وفى ضوء ذلك هناك بعض الآراء من قبل بعض الباحثين لإبراز أهم مظاهر التطرف الدينى.

لعل أهمها أن أول مظهر من مظاهر التطرف هو التعصب للرأى تعصبًا لايعترف للآخرين برأى، وهذا يشير إلى جمود المتعصب على فهمهم مما لا يسمح له برؤية مقاصد الشرع ولا ظروف العصر، ولا يسمح لنفسه بالحوار مع الآخرين، فالمتطرف يرى أنه وحده على الحق ومن عداه على الضلال، وكذلك يسمح لنفسه بالاجتهاد فى الحق وأدق القضايا الفقهية، ولكنه لا يجيز ذلك لعلماء العصر المتخصصين منفردين أو مجتمعين ما دام أن ما سوف يصلون إليه مخالفا لما ذهب هو إليه.

ومن مظاهر التطرف أيضًا، التشدد فى القيام بالواجبات الدينية ومحاسبة الناس على النوافل والسنن كأنها فرائض، والاهتمام بالجزئيات والفروع والحكم على إهمالها بالكفر والإلحاد، وهناك مظهر آخر من مظاهر التطرف وهو العنف فى التعامل والخشونة فى الأسلوب والغلظة فى الدعوة،

بالإضافة لسوء الظن بالآخرين والنظر إليهم نظرة تشاؤمية لا ترى أعمالهم الحسنة وتضخم من سيئاتهم.

فالأصل عند المتطرف هو الاتهام والإدانة، ويبلغ التطرف مداه حين يسقط المتطرف عصمة الآخرين ويستبيح دماءهم وأموالهم وهم بالنسبة له متهمون بالخروج عن الإسلام، ولهذا تصل دائرة التطرف مداها فى حكم الأقلية على الأكثرية بالكفر والإلحاد.

وانطلاقًا من الإطار السابق نشير إلى أن هناك عدة مظاهر تدل على «التطرف عن الدين»، أو الغلو فيه تتمثل فى الآتى:

١- التعصب للرأى وعدم الاعتراف بالرأى الآخر.

٢- إلزام جمهور الناس بما لم يلزم الله به، مثل التزام التشديد دائمًا مع قيام موجبات التيسير.

٣- الغلظة والخشونة فى عرض الدين.

وفى ضوء ما تقدم نرى مدى الاتفاق بين الباحثين حول مظاهر التطرف الدينى حيث أكدوا على التعصب والجمود، الموقف العدائى تجاه المخالف فى الرأى أو العقيدة، أحقية المتطرف دون غيره للاجتهاد فى القضايا الفقهية وتفسير الأحكام ... إلخ، بالإضافة للتشدد والمغالاة، العنف فى التعامل والخشونة فى الأسلوب والغلظة فى الدعوة.

(٤) المحددات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للتطرف الدينى

يعتبر التعصب من أهم دلائل التطرف، حيث يعبر عن التصلب والتشدد لما يعتنق الفرد من أفكار وآراء وهو أسلوب غالبًا ما يؤدى إلى الانعزال عن الفكر السائد فى المجتمع ويغلق باب الحوار والفهم المتبادل، ويسد الطريق أمام فهم ما يستجد من أحداث أو أفكار، ويميل الشخص المتطرف إلى تقبل كل ما

يزيد من اقتناعه بالأفكار التى يدافع عنها وولائه لها إلى حد أن تصبح هذه الأفكار هدفًا فى حد ذاتها يكرس جهده وطاقته للدفاع عنها والمحافظة عليها، وخاصة إذا ما كانت تحقق له مكانة متميزة فى وسط الجماعة التى ينتمى إليها وقد يتجاوز هذا إلى محاولة فرضها على الآخرين ولو باستعمال القوة.

ومن ناحية أخرى، انتهى «ليڤين Levuin» إلى إبراز عنصر التدريج كمظهر من أهم مظاهر السلوك الناضج، إذاً الشخص الذى لا تتسم استجاباته بالتدريج، وإنما يصدر استجاباته فجائية تميل إلى أقصى اليمين أو أقصى اليسار، هو شخص غير ناضج اجتماعيًا وكذلك فهذا الشخص الذى تستقر استجاباته فى أقصى اليمين وأقصى اليسار أى يقف عند طرفى متصل فهو شخص متطرف.

وفى ضوء ما سبق، نستخلص النقاط التالية:

١ - أن المتطرف دينيًا يتسم بمعتقدات جامدة يعتنقها دون مناقشة لها.

٢ - أن المتطرف دينيًا يتسم بالتعصب والتشدد والجمود.

٣ - أن المتطرف دينيًا استجاباته دائمًا عند طرفى متصل.

٤ - أن المتطرف دينيًا يتسم بالشك وعدم الثقة بالذات وبالآخرين.

٥ - أن المتطرف دينيًا يميل إلى تبرير كافة الأحداث والمواقف وفقًا لمصلحته، فهو غالبًا ما يبرر الأمور لهواه ورغبته.

وعمومًا نجد أن شخصية الإنسان فى العصر الحديث هى نتاج لشدة التغيير الحادث، واهتزاز علاقات الإنسان التى كانت تربطه بذاته أو مجتمعه أو بالله عز وجل، فكل الجذور القديمة «الدين والمجتمع والأسرة والمهنة» تهتز الآن بقوة تحت التأثير العاصف للتغيير المتسارع، وعلى الرغم من أن التغير هو دومًا جزء من بيئة الإنسان، إلا أن الذى تغير حديثًا هو معدل هذا التغير.

لقد تأثر المجتمع المصرى بشدة التغير الحادث فى العالم وشهد تغيراً سريعًا لا يتسم بالتوازن بين الجوانب المادية والجوانب الإنسانية مما أدى إلى

تغير واضح فى النسق القيمى وفى سمات الشخصية المصرية، وذلك لأن التنمية المادية والاقتصادية استأثرت باهتمام المخططين، ولم تنل تنمية الإنسان قدراً متكافئًا من العناية والرعاية، مع أن الإنسان هو هدف التنمية وهو أداتها فى نفس الوقت.

ونجد أن الباحثين «السوسيولوچيين والسياسيين»، عند تناولهم للمحددات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للتطرف الدينى، قد ركزوا على فترة السبعينات حيث إن تلك الفترة قد شهدت تزايداً ملحوظًا لظاهرة التطرف الدينى، ويُرجع الباحثون هذا التزايد إلى التغيرات والتحولات الجذرية التى شهدتها مصر خلال فترة السبعينات فقد بدت ظاهرة التغير الاجتماعى « Social Change » واضحة وسريعة ومفاجئة.

وبالطبع عانى الشباب المصرى من تأثير هذا التغير وفى نفس الوقت الذى يعانى فيه المجتمع أصلاً كمجتمع نام من المرحلة الانتقالية. فكان الصراع بين الأصالة ومحاولة الحفاظ على الهوية المصرية وبين رياح التحديث والانفتاح على العالم الخارجى والاطلاع على الثقافات الأخرى عن طريق المخترعات الحديثة والتكنولوچيا.

ولا شك أن هذا القدر من التحولات التى وقعت فى إطار المجتمع المصرى، قد أثرت على الشباب وأدت إلى نوع من التسيب الأيديولوچى والثقافى والاجتماعى والاقتصادى، مما أدى إلى اهتزاز ملامح الشخصية الشابة المصرية وظهور تساؤلات عن هويتهم وعدم وضوح الأولويات التى يستندون إليها فى تحديد شخصياتهم، والتى إذا لم يتمكن الشخص من تحديدها فإنه عادة ما يشعر بداخله بتمزق ويكون لذلك آثاره على الشخصية والمجتمع على السواء.

على حين يربط البعض بين البعد الثقافى وحالة الاغتراب الاجتماعى عند الطلاب بقولهم: إن المظهر البارز لاغتراب الطلاب الذى يضم ذلك الشتات

المتناقض هو الثقافة المضادة التى تصدر عن مجتمعهم كنوع من العداء ضد الثقافة الاجتماعية العامة، وكتعبير عن الفجوة التى يشعرون بوجودها بينهم وبين الكبار الذين ينظرون إليهم باستخفاف مما يدفعهم إلى تأكيد هويتهم وإثبات وجودهم.

فهم حين يثورون فإنما يثورون على أنفسهم وعلى المجتمع الذى يمثل سلطة الأب بما تفرضه من وصايا، وغضبهم غضب طفولى فى بعض الأحيان لأن الواحد منهم لا يعرف من هو، ولذلك يحاول الاندماج مع الآخرين من أقرانه فى مجتمع دفاعى يعطيه كيانًا متمايزاً عن غيره من أعضاء المجتمع وليستبدل هويته بهوية مصنوعة تشبع حاجاته التى لم تجد إشباعًا فى مجتمعه الواسع أو فى أسرته، ومن خلال الغضب يشعر الطلاب من الشباب والمراهقين بقوتهم وقدرتهم على التدمير ومن ثم بتماسكهم كجماعة ضد القوى الأخرى التى يعادونها.

ومن ثم، أرى أن شبابنا العربى هو من أكثر شباب العالم احتياجًا للمتابعة خاصة وأنه يمر بظروف خاصة، أبسط ما يمكن أن توصف به أنها الظروف التى تصاحب دائمًا مراحل الانتقال وما يكتنفها من عدم استقرار وعدم وضوح للرؤية وهو ما يجعله دائمًا فى موقف الإحباط والانسحاب والشعور باللامعيارية.

ولعل أخطر ما أصاب الكيان الاجتماعى فى زمن الانفتاح هو غلبة الحلول الفردية للمشكلات، بعد أن عجز المجتمع عن توفير الحلول الجماعية لها، الأمر الذى يتضاءل معه إحساس الفرد بأنه جزء من كل، وتنزوى قيمة مشاعر الانتماء الاجتماعى، ويصاب الكيان الاجتماعى من جراء هذا وذاك بالتفكك والضعف.

(٥) دوافــع التطــرف الدينى

أجمع معظم الباحثين على أن مشاكل الشباب والمراهقين تنشأ نتيجة عدة عوامل وعقبات يواجهها الشباب فى باكورة أعمارهم، وقد ساهمت فى الحيلولة بينهم وبين إرضاء حاجاتهم الجسمية والنفسية والاجتماعية، وبين تحقيق النمو الجسمى والتكيف النفسى والاجتماعى السوى، بالإضافة لعدم استطاعة الشباب تحقيق طموحاته ورغباته، وظهور التضارب بين الدوافع وبين هذه الرغبات، وكل ذلك له آثاره الخطيرة فى مجال الفكر والسلوك.

كما قد تنشأ تلك المشكلات عن آثار التربية الخاطئة وانحرافات البيئة، وبعض الظروف المحيطة بهم والتى تؤدى إلى انحرافات نفسية للشباب والمراهقين وضعف معنوياتهم وشعورهم بالفشل والإحباط النفسى.

كما يضاف إلى الأسباب السابقة لمشكلات الشباب، ضعف الوازع الدينى والذى يجعل تصور الشباب لدور الدين فى الحياة باهتًا، والشباب بدون عقيدة وعمل يكون سريع الاستجابة والاستسلام لهواه ورغباته، والعقوق لأسرته ووطنه وأمته، وهذا السبب الأخير يعد أقوى الأسباب لمشكلات الشباب فى وقتنا الحاضر، ذلك لأنه سبب داخلى يرتبط بالسلوكيات والاتجاهات والتى لايمكن إصلاحها إلا بالمعرفة الدقيقة للثقافة الإسلامية وتطبيقها سلوكيًا فى الحياة اليومية، أما الأسباب الصحية والجسمية وغيرها فهى أسباب يسهل معالجتها.

ويشير الشيخ/ جاد الحق على جاد الحق - شيخ الأزهر السابق رحمه الله - قائلاً: لا بد أن نحلل أسباب التطرف بغض النظر عن نوعيته ومظاهره وقنواته، فإنه يلبس أثوابًا عديدة ويلبس لكل حال لبوسها.

وظاهرة التطرف الدينى، كما يشير «روبرت ميرتون Robert Merton» ظاهرة مركبة وأسبابها كثيرة ومتنوعة ومتداخلة، فمنها ما هو دينى ومنها ما هو سياسى ومنها ما هو اجتماعى، ومنها ما هو اقتصادى ومنها ما هو نفسى،

وقد يكون سبب التطرف ذاتياً بحتًا أى يرجع إلى شخصية الفرد ذاته وتنشئته الاجتماعية وعلاقاته داخل الأسرة وأصدقائه، وقد ترجع الأسباب إلى المجتمع الذى يعيش فيه الفرد وما يحمله من تناقض قيمى أو تناقض صارخ بين الواقع والمثال، والتفاوت الاجتماعى والاقتصادى وعدم وضوح الرؤية المستقبلية أمام الشباب.

وفى ضوء ذلك نشير إلى أنه لا يمكن تفسير ظاهرة التطرف الدينى بعامل واحد فقط، بل تتعدد وتتداخل الأسباب، وإذا كان من الضرورى مراعاة ظروف وخصوصية كل دولة على حدة، فإن هذا لا يمنع من القول بوجود قواسم مشتركة بين الأسباب التى تؤدى إلى هذه الظاهرة فى المناطق المختلفة، وعمومًا فإنه لا يمكن فهم هذه الظاهرة بعيداً عن المشكلات والأزمات التى تعرفها الدول العربية والمرتبطة بعمليات التحديث والتنمية.

وتؤكد إنجازات العلوم الاجتماعية، كعلم الاجتماع والانثروبولوچيا وعلم النفس، أن الشخصية نتاج اجتماعى تاريخى وأن النظم الاجتماعية من اقتصادية وسياسية وتربوية ودينية وأسرية وأيديولوچية تخلق نمطًا معينًا من الشخصية يتسم بالعمومية أطلق عليه العلماء تسميات مختلفة كالشخصية المنوالية أو الشخصية الشائعة أو الطابع القومى ... إلخ، ومعنى ذلك أن نبحث عن أسباب تنامى وانتشار الفكر المتطرف فى جوهر تلك النظم الاجتماعية وطبيعتها وليس فى الأفراد أنفسم أو الظروف والملابسات الضيقة المحيطة بهم، إذا أردنا حقيقة أن نصل إلى فهم علمى سليم لهذه الظاهرة.

وأرى أنه فى ضوء الأوضاع المجتمعية المختلفة ظهرت قيم جديدة فى المجتمع وهذه القيم هى تعبير عن مظاهر الاغتراب ومنها: إعلاء المصلحة الشخصية على المصلحة القومية، الكسب السريع والسهل على حساب بذل الجهد، الاهتمام باللحظة الحالية وليس الاهتمام بالمستقبل، الانتهازية والنفاق، الهروب من مواجهة الواقع والتصدى له، وأصبحت الصورة أمام الشباب أن كل ما يتمسك بالقيم والمبادئ مستقبله غير مأمون مما دفع ببعض الشباب

والمراهقين إلى الانخراط فى تيارات فكرية ودينية متطرفة كبديل للواقع المؤلم الذى يعيشون فى نطاقه، ولذلك انتشرت فى الفترة الأخيرة ظاهرة التطرف الدينى.

ومن ناحية أخرى، نشير إلى هشاشة الخطاب الدينى الرسمى، وضعف مستوى الكثير من أئمة المساجد الحكومية وعجزهم عن ملاحقة القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، كأسباب تؤدى للتطرف الدينى.

وفى هذا الإطار يتضح مدى تقصير المسجد وعلماء الشريعة المعاصرين فى تأدية رسالتهم، فالمسجد بالنسبة للشباب المعاصر مكان يؤدى فيه شعائر الصلاة فحسب، ومن هنا اجتمع التقصير فى رسالة المسجد مع العجز فى تأدية العلماء لرسالتهم فتضخمت المشكلة الروحية للشباب.

فقد كان للمسجد فى صدر الإسلام وظائف جليلة أهمل المسلمون اليوم عدداً منها فقد كان منطلقًا للجيوش وكان مركزاً تربويًا، يربى فيه الناس على الفضيلة وحب العمل وعلى الوعى الاجتماعى، وكان مصدر إشعاع خلقى يتشبع فيه المسلمون بفضائل الأخلاق.

ومن ثم، نجد أن انحسار دور المسجد يعد أحد الأسباب المهمة التى دفعت الكثير من الشباب والمراهقين الدائمى السعى للمعرفة والاستزادة والتفقه فى أمور الدين وتعاليمه وشرائعه إلى التطرف والمغالاة فى فهم الدين والتشدد فى أموره دون أساس علمى أو دينى، لأنهم فقدوا القدوة والموجه والمرشد الذى يدفعهم لطريق الصلاح ويجنبهم الفكر المتطرف الذى يسعى أدعياء الدين المتطرفين لغرسه فى أذهان النشء من المراهقين والشباب.

وعلى الجانب الآخر، يتناول بعض الباحثين النظام التربوى كإطار لتفسير أسباب التطرف الدينى، حيث نجد أن من أهم خصائص النظام التربوى المصرى المعاصر أنه نظام تلقينى، أى أنه يعتمد بصفة أساسية على حشو ذهن الطالب خلال مراحل الدراسة كافة بمعلومات عليه أن يحفظها دون أن يشغل عقله بالتحليل والنقد، كما أن من أهم خصائصه أيضًا تكريس الأمية الثقافية،

فالطالب فى مراحل الدراسة المتعاقبة يدرس أو يحفظ مواداً محدودة ولا يشجع على اكتساب الثقافة العامة عن العالم والمجتمع الذى يعيش فيه، وهذه الخصائص تُشيع ظاهرة التطرف الدينى.

كما أنه من ملامح الافتقار التخطيطى للنظام التعليمى زيادة عدد الطلاب فى المدارس وتكدسهم داخل الفصول الدراسية، ولا يقابل ذلك زيادة ملائمة فى أعداد المدرسين الأمر الذى يترتب عليه زيادة الأعباء على المدرسين وبالتالى تقل معه فرص اتصالهم بصورة مباشرة مع الطلاب وتزداد معه الفجوات فيما بينهم، وفى ضوء تلك الزيادة الرهيبة فى أعداد الطلاب، أصبحت المدرسة غير قادرة على الرقابة والإشراف والمتابعة، من هذا المنطلق أصبح دور المدرسة قاصراً فقط على التدريس والامتحانات.

وفى هذا الإطار نشير إلى بعد مهم من أبعاد العملية التعليمية وهو أن توافر كافة الوسائل التعليمية لا يحقق لها النجاح دون أن يكون هناك اتصال حقيقى ومباشر بين الأساتذة والطلاب تتحقق من خلاله المعرفة العلمية والتربية الاجتماعية لدى الطلاب وتكون ولاءاتهم مؤسسة على الحب والعطاء والانتماء، وعلينا أن نتخيل حجم الاستياء الذى يمكن أن يصيب الطلاب عندما تكون الوسائل التعليمية المتاحة غاية فى التواضع ومصحوبة بانفصال بين الطلاب والأساتذة، ذلك الانفصال الذى لم يكن قاصراً على العملية التعليمية فحسب، ولكنه امتد بكل أسف إلى أبعد من ذلك ليشمل الأنشطة التربوية والاجتماعية من خلال الريادة العلمية والأسر الطلابية، فنظام تعليمى كهذا لا يمكن أن يقدم للمجتمع إسهامًا تنمويًا حقيقيًا ولا يمكن أن يُكون ولاء مجتمعيًا عند الطلاب.

كما عزا البعض قضية التطرف الدينى لدى الشباب إلى ضعف التربية الدينية والخلقية، والتى يفتقر إليها الشباب فى دراسته والتى تؤهله إلى التفاعل مع مدرسة الحياة والمجتمع الكبير. ولكن المواد الدينية التى تدرس لهم تتصف ببعض السلبيات وأوجه القصور فيما يتصل بطرق تدريسها واختيار ما يناسب مستوى التلاميذ منها.

ومما لا شك فيه أن التربية الدينية فى مؤسساتنا التعليمية ليست تربية وإنما هى تلقين لبعض المعلومات عن الإسلام شكلاً، ولا يقدم جوهر الإسلام فى المدارس على الوجه الصحيح، وليست المدارس أكثر حظًا من الجامعات لأن التربية الدينية أو التثقيف الدينى معدوم أيضًا فى الجامعات إلا فى بعض الكليات التى تدخل الدراسات الشرعية فيها جزءاً من المنهج.

وهنا يؤكد «الباحثون التربويون» على وجود تقصير ظاهر فى مناهج التعليم فيما يختص بالعقيدة الإسلامية التى هى السلاح الأول فى مواجهة أى تحديات أو أية مبادئ هدامة، فنجد أن نصيب التربية الإسلامية حصة واحدة فى الأسبوع، وفى كثير من البلدان هذه الحصة اختيارية، وللطالب كامل الحرية فى أن يؤدى الامتحان بها أو لا، ومن ثم تكون حصيلتهم المعرفية ضئيلة جداً إذا قيست بمواد أخرى مثل الرياضيات أو العلوم.

ومن ثم، أرى أن هذا النقص الواضح فى مناهج العلوم الدينية فى كثير من البلاد الإسلامية ومن بينها «مصر» أدى إلى ظهور فريقين متناقضين من الشباب والمراهقين يتمثل إحداهما فى الشباب البعيد عن التعاليم الدينية والمتبنى للأفكار والسلوكيات الغربية التى لا تتفق مع قيم وأخلاقيات الشريعة الإسلامية، أما الفريق الثانى فيتمثل فى الشباب والمراهقين الذين يتشددون ويغالون فى أمور الدين لدرجة التعصب والتطرف.

وفى هذا الإطار وحول سمات النظام التعليمى الحالى نشير لعدة عوامل تدعم بدورها أحادية الرؤية وتنمية الاتجاه السلبى نحو نفى الآخر المغاير واستبعاده، ومن ثم تؤدى للتعصب والتطرف بصفة عامة والتطرف الدينى بصفة خاصة، تتمثل فى الآتى:

١ - فرض المعلم لأسلوبه فى التفكير والتعبير على التلاميذ.

٢ - المبالغة فى التقويم والنقد والحكم على أفكار التلاميذ طول الوقت بأنها تافهة أو سطحية على نحو يعوق طلاقة الأفكار.

٣ - الميل إلى عقاب التلاميذ الذين يظهرون الحساسية أو المثالية أو الشجاعة أو الشك أو التخمين أو العودة إلى بعض أنماط السلوك الطفلى.

٤ - اتجاه المعلمين السالب الذى لا يسمح بإطلاق العنان لخيال التلاميذ وتشجيعهم على الجرأة والجسارة فى التفكير عند تناول بعض القضايا أو المشكلات.

٥ - تشجيع المعلمين لسلوك الطاعة والمسايرة والتوافق مع المعيار العادى أو المتوسط أى تنميط وقولبة عقول التلاميذ بصبهم فى قالب واحد.

أما على المستوى الإعلامى، فقد قدم الباحثون العديد من التحليلات والتفسيرات، خلصتُ منها إلى أن أجهزة الإعلام بمختلف أنواعها وأساليبها قد أثرت تأثيراً مباشراً فى تشكيل النسق الثقافى للشخصية المصرية.

كما أنها - أى وسائل الإعلام - ساهمت بدور فعال فى تنامى ظاهرة التطرف الدينى، حيث انتشرت الأفلام الهابطة والمسرحيات التافهة والمقالات اللاذعة والتى أحدثت ازدواجًا فى البناء القيمى داخل المجتمع، بحيث أصبحت المعانى الهابطة التى تتضمنها بعض البرامج هى اللغة السائدة بين معظم الشباب الذين وجدوا أنفسهم فى حيرة أمام هذه المواد الإعلامية المتناقضة فى وظائفها مع بعض الأنساق الثقافية الأخرى.

فهم على سبيل المثال: عندما يدخلون المسجد يسمعون فيه شيئًا ثم يخرجون إلى الشارع فيجدون شيئًا آخر متناقض تمامًا عن الذى سمعوه، ثم يجلسون أمام التليفزيون يشاهدون برامج دينية قيمة ثم يعقبها برامج ترفيهية هابطة.

وقد أدت تلك الازدواجية فى الوظيفة الإعلامية إلى إحداث ازدواجية فى قيم ومعايير المجتمع، أصبح معها الشباب يعانى من مشكلة عدم وجود هوية محددة تكون بمثابة الإطار القيمى والمعيار الذى يوجههم فى حياتهم.

وعندما تظهر فى مثل هذا المناخ الثقافى اللامعيارى أى جماعة لها فكر ولها أيديولوچية، فإنها بإمكانها عبر ما تمتلكه من وسائل الجذب أن توجه إليها نظر الشباب والمراهقين ليتخذوا منها إطاراً قيميًا ومعياريًا، ومن ثم تصبح مصدراً للتعويض القيمى الذى افتقدوه داخل المجتمع الذى تميعت فيه القيم الثقافية واختلطت فيه المعايير.

كما أرى أن وسائل الإعلام وبخاصة الإذاعة والتليفزيون التى تقدم من خلال بعض المسلسلات أو الأفلام مضمونًا يؤكد على القيم السالبة، وعدم إعطاء القدرة للآراء التى توضح أن هناك رأى صواب يحتمل الخطأ ورأى غيرى «الرأى الآخر» خطأ يحتمل الصواب، كذلك افتقاد هذه البرامج للنماذج المشرفة لقادة أو زعماء أو شباب متواجدين فى شتى قطاعات المجتمع ممن قدموا ويقدمون الكثير لبلادهم فى صمت وخشوع.

ذلك بالإضافة إلى بعض إعلانات التليفزيون الاستفزازية: إعلانات للكبار تركز على سيطرة القيم المادية والدعوة إلى المظهرية، وإعلانات خاصة بالأطفال تبث بذور الأنانية والغيرة والحقد على الآخر وجماع هذا مزيد من الإحباط.

كل هذا إلى جانب ما تقدمه بعض المسلسلات والأفلام من تركيز على السلبيات كالانحرافات والعنف والاستبداد بالرأى مما يؤدى إلى ترجيح تمثل واستحسان أطفالنا وشبابنا لهذه النماذج السلبية المتكررة فى إعلامنا، مما يدفع إلى مزيد من العدوانية والتطرف.

وفى ضوء ذلك نؤكد على أن وسائل الإعلام تكرس إبطال عمل العقل بالحوار أو النقد أو النقاش، فالصحف والمجلات والإذاعة والتليفزيون تكاد جميعها تعرض الرأى الواحد وهو الرأى الرسمى، حتى ولو اشترك فى عرضه عشرات الأفراد دون أن تتاح فرصة للرأى الآخر وللحوار والنقاش، الأمر الذى يكرس أيضًا القابلية للإيحاء وللتلقين.

كما يشير علماء الاجتماع إلى أن مرحلة الانفتاح الاقتصادى شهدت تدنيًا وانحساراً للثقافة الجماهيرية، فالهيئة العامة للكتاب مثلاً التى كانت تطبع وتنشر آلاف الكتب ذات الطابع الشعبى وبأسعار زهيدة لم تعد مصدراً للمعرفة والثقافة بالنسبة إلى شباب اليوم حتى إن ما تنشره أصبح فى غير متناول الغالبية العظمى من الشباب لارتفاع أسعاره، وتحولت الثقافة من خدمة جماهيرية إلى سلعة تجارية واستثمارية تهتم بالربح وبالمظهر أكثر من المضمون.

وفى قطاع المسرح انحسرت موجة المسارح الشعبية وتقلص دور القطاع العام الذى كان يزود الشباب بغذاء عقلى ويوسع من مداركهم بما يعرضه من مسرحيات بأسعار مقبولة، وتحول النشاط المسرحى إلى القطاع الخاص الذى أخذ يقدم الفن الهابط المبتذل والمتاح فقط لمن لديهم القدرة على تحمل أثمان هذه المسارح ولتلك الفئة من الشباب التى تتفق قيمها وميولها مع ذلك النوع من الفن المشجع على الانحراف، وينطبق الأمر نفسه على السينما وتخلى الدولة عن دورها فى الإنتاج السينمائى الثقافى الهادف وتوفير فرص المشاهدة للقطاع الأكبر من الشباب، وبالتالى نشأ نوع من الفراغ الثقافى.

أما بالنسبة للنظام الأسرى كإطار لتفسير أسباب التطرف الدينى يرى «الباحثون السوسيولوچيون والسيكولوچيون» أن مأساة الأسرة الحديثة تكمن فى فقدانها لأغلب الوظائف التى كانت تقوم بها وأهمها الوظيفة الدينية، ومن ثم فإن إهمال البيت كمؤسسة من المؤسسات التى من مسئولياتها أن تقوم بدور أساسى فى دعم الدين وتقويته جعل التركيز على المدرسة فى دعم هذا الجانب.

وإذا نظرنا إلى البيت نجد أن الدين من وجهة نظره مسألة شخصية، فالشاب أو المراهق يصلى أو لا يصلى أمر لا يهم بعض الآباء، فينشأ هذا الشاب وليس لديه حماس دينى يدفعه نحو الفضيلة ويبعده عن الرذيلة، وأكثر من ذلك فهو لا يرى فى أبيه وأمه القدوة الحسنة التى يقتدى بها، وتلك مشكلة لها آثارها فيما نراه اليوم من ضياع العلاقة الصحيحة بين الآباء والأبناء.

ومن هنا فالبيت المسلم مطالب بأن يضمن اتصال الأجيال الجديدة بأصول الإسلام لينشأ الأبناء على نهج الآباء المسلمين والأمهات المسلمات، أما إذا انحرف البيت عن وجهة الإسلام أو أهمل فى أداء واجبه فإن الخسارة حينئذ تكون فادحة، فغالبًا ما يقع الشباب والمراهقون فريسة سهلة للتيارات الهدامة، ولذا فتوفير التربية الإسلامية السليمة فى البيت هو الأمر الأول فى تكوين الوازع الدينى لدى شبابنا.

كما يشير «كيندر Kinder» لأساليب التربية والتنشئة الخاطئة فى الأسرة التى تؤدى إلى عدم نضج ونمو شخصية الطفل النمو السوى، وذلك لعدم إعطائه الفرصة لإبداء رأيه بحرية وشجاعة والإفراط فى النقد والحكم والرقابة والقسوة والمبالغة فى السيطرة، ومن ثم تصبح هذه الشخصية أحادية التفكير مما يؤدى إلى اتسامها فيما بعد بالجمود والتعصب والتطرف.

أما «جاكوب كونين Kounin» فلقد حدد ثلاثة أسباب أعتبرها مسئولة عن التطرف والتصلب وهى:

١ - انخفاض درجة تغاير بناء الشخصية، وهو ما يقصد به مستوى الثراء أو الفقر فى بناء الشخصية، فكلما تجانس البناء قل الرصيد السلوكى للتنوع الذى سيقابل الشخص به تنوعات مواقف الحياة ومقتضيات التوافق والنتيجة الظاهرة لذلك تطرف السلوك.

٢ - انخفاض درجة التغاير فى بناء منطقة بعينها من مناطق الشخصية، مما يترتب عليه تصلب السلوك المعتمد على هذه المنطقة.

٣ - انخفاض مستوى الشعور بالأمن والطمأنينة فى موقف معين كالخوف من الفشل أو عدم التأكد من النتائج التى ستترتب على الخطوات التالية، والتردد والتوجس فيما يتعلق بالمواقف غير المألوفة.

وكذلك قد يكون التطرف تعبيراً عن رغبة الطلاب - من الشباب والمراهقين - فى العودة إلى الإسلام والتعرف على دينهم بنية صادقة وعزم

أكيد، يدفعهم إليه طبيعة النمو فى هذه المرحلة وقد يكون رد فعل مؤقت لموجات البعد عن الدين التى عانى فيها المجتمع المصرى فى بعض الفترات، كما أنه قد يكون هروبًا من المشاكل التى يواجهها الطلاب فى المجتمع كالمشكلات المرتبطة بالتعليم والإسكان والعمل وغيرها.

أيضًا قد يكون التطرف كما يرى «محمد الأحمدى أبو النور» نتيجة الضغط الفكرى الذى ينشأ من التطرف فى فهم النصوص الدينية دون أساس علمى أو دينى أو عقلى، وكذلك نتيجة ضغط فكرى ينشأ من اعتقاد أن واجبًا على المرء أن يقتدى بالرسول الكريم «عليه الصلاة والسلام» فى كل ما يفعله حتى ولو كان خصوصية له.

وفى هذا الإطار يرجع بعض العلماء أسباب التطرف الدينى لدى بعض الشباب والمراهقين إلى الآتى:

١ - افتقاد الشباب للقيادة الصحيحة والكلمة الصائبة، مما اضطره إلى أن يقرأ بنفسه فى مجال الدين وهو غير قادر على التمييز بين الصحيح والزائف، ومن ثم التبست عليه الأمور فى أغلب الأحيان.

٢ - الانحلال الأخلاقى الذى استشرى بين قطاعات كبيرة من الشباب بسبب إهمال التربية الدينية فى البيت، والدور السلبى لوسائل الإعلام فى ترسيخ قيم غريبة عن المجتمع ومتناقضة مع معتقداته، وافتقاد القدوة الحسنة، وضغط الحياة الاقتصادية.

٣ - تضاؤل الاهتمام بالدين فى المدارس القومية، وغيابه النسبى فى المدارس الأجنبية.

٤ - ضآلة المساحات المخصصة للإعلام الدينى.

٥ - قلة علماء الدين الأكفاء الذين يبصِّرون الناس بالقيم الدينية الحقيقية مما نتج عنه وجود من يشغل الناس بالشكليات والقضايا الفرعية.

من خلال العرض السابق لبعض الآراء المفسرة لأسباب التطرف الدينى، نستخلص عدداً من المؤشرات على النحو التالى:

١ - تناول بالدراسة والبحث أسباب ظاهرة التطرف الدينى بعض الباحثين من شتى التخصصات « الدين - علم النفس - علم الاجتماع - التربية ... إلخ ».

٢ - العرض السابق هو عبارة عن وجهات نظر وآراء وتحليلات طرحت من قبل بعض الباحثين ولكننى أرى أن تلك التحليلات إنما ينقصها الآتى:

أ - التدعيم الميدانى العملى، فهى لا تتعدى كونها محاولات نظرية فليس من بينها محاولة لدراسة علمية تتناول بحث واستقصاء أسباب وعوامل التطرف الدينى بطريقة علمية متبعة خطوات المنهج العلمى.

ب - التناول المتكامل لكافة أبعاد الظاهرة، فالتطرف الدينى هو نتاج مجمل الظروف الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والتربوية والأسرية والسياسية والإعلامية، ... إلخ، فقد ركز الباحثون السابقون عند تناولهم للظاهرة على أبعاد معينة دون غيرها، فعلى سبيل المثال لا الحصر: هناك من ركز على الدور السلبى لوسائل الإعلام الذى يتمثل فى هدم ما يقوم به الدعاة من توعية دينية، واستفزاز مشاعر الشباب المتدين، وهناك من أشار لسوء الحالة الاقتصادية، الشعور بالاغتراب وفقد الانتماء، نقص التوعية الدينية، الخوف من فقد الهوية، عدم إشباع الحاجات الأساسية التغيرات الاجتماعية السريعة، ... إلخ.

٣ - معنى ذلك، عدم وجود محاولة علمية تتناول كافة أبعاد ظاهرة التطرف الدينى، وهذا فى الواقع كان دافعًا قويًا لى لإجراء دراسة علمية متكاملة حول الدوافع الكامنة وراء تطرف المراهقين والمراهقات فى المرحلة العمرية من (١٤-١٧) سنة فى المجتمع المصرى تطرفًا دينيًا، حصلت من خلالها على درجة الماچستير بتقدير «ممتاز» فى علم نفس الطفل بجامعة عين شمس، وقد أسفرت نتائج الدراسة عن العديد من الدوافع من وجهة نظر عينة الدراسة والتى بلغت (٨٠٠) مراهق ومراهقة على النحو التالى:

١ - الفهم الخاطئ لتعاليم الدين.

٢ - نقص التوعية الدينية السليمة.

٣ - التفكك الأسرى وعدم وجود الموجه والمتابع القريب من الشباب.

٤ - الحماس الدينى الذى لا يقوم على أساس منطقى.

٥ - ظهور عادات وتقاليد جديدة تتناقض مع الإسلام.

٦ - الاعتماد على مبادئ دينية يساء تفسيرها وفهمها.

٧ - الأمية الدينية التى ولدت فراغًا دينيًا رهيبًا لدى الشباب.

٨ - اهتزاز قيم ومبادئ وسلوكيات الشباب.

٩ - انصراف الشباب عن التعليم الدينى.

١٠- الخلل فى النظام التعليمى الذى حول عقول الشباب إلى مجرد ترديد نصوص المناهج التعليمية المختلفة.

١١- عدم توعية الشباب بالمشكلات قبل الوقوع فى الخطأ.

١٢- عدم وجود خلفية دينية لدى الشباب.

١٣- انشغال الوالدين بأعمالهما الخاصة وعدم تفرغهما للمتابعة والاستماع إلى أبنائهما.

١٤- البيئة التى نشأ فيها المراهق وعدم العناية به.

١٥- غياب الحوار بين الآباء والأبناء.

١٦- عدم اهتمام الأسرة بالناحية الدينية منذ الصغر.

١٧- عدم إعطاء حصة الدين وضعها الحقيقى.

١٨- الإهمال فى تدريس المواد الدينية.

١٩- اقتصار دور المدرسة على التدريس والامتحانات.

obeikandl.com

٢٠- تفكير المراهق فى المعتقدات الدينية التى كان يتقبلها بدون مناقشة أثناء مرحلة الطفولة.

٢١- تأثير جماعة الأقران حيث يقلد المراهق قرنائه فيما يظهرون من اهتمام بالدين.

٢٢- إحباط الحاجات الأساسية للمراهقين.

٢٣- عدم كفاية مناهج الدين الحالية فى المدارس.

٢٤- ما يدور فى الأسرة من خلافات وصراعات.

٢٥- اليقظة الدينية السريعة فى مرحلة المراهقة.

٢٦- عدم تأهيل بعض المدرسين تربويًا.

٢٧- شعور الشباب بالوحدة وعدم المساعدة من جانب القيادات المختلفة.

٢٨- شعور الشباب بالنقص وضعف الشخصية.

٢٩- تعصب المتطرفين دينيًا لفكرهم.

٣٠- غياب دور الإخصائى الاجتماعى فى المدارس.

٣١- هامشية الشباب وانعدام تحقيق الذات.

٣٢- غياب الفكر الدينى المتسامح الذى يمثله أزهرنا الشريف وعلماؤه الكبار.

٣٣- وجود الفراغ النفسى والروحى لدى الشباب.

٣٤- غياب القدوة الصالحة فى الأسرة والمدرسة والمجتمع.

٣٥- انغلاق الذهن والتشدد مع أصحاب المعتقدات المناهضة.

٣٦- عدم وجود رقابة داخل المدارس.

٣٧- غياب دور رجال الدين فى توعية الشباب وتصحيح المفاهيم الخاطئة.

٣٨- عدم العناية بخلق جسور ثقة وحوار بين الشباب وبين علماء الدين والمفكرين والمثقفين.

٣٩- إلغاء حصة الدين فى بعض المدارس.

٤٠- مدرس الدين ليس على درجة من الكفاءة للقيام بدوره فى حوار مع تلاميذه.

٤١- ضعف التربية والمناهج الدراسية.

٤٢- رفض معايير وتوجيهات الكبار.

٤٣- التنشئة الاجتماعية المتسلطة.

٤٤- فقد القدرة على التعبير وإبداء الرأى.

٤٥- الاغتراب النفسى والمعنوى لدى قطاع كبير من الشباب.

٤٦- الظروف الطارئة التى يمر بها المراهق «كموت أحد المقربين» تدفعه لتقوية اهتمامه بالأمور الدينية.

٤٧- غياب حوارات جادة ومنظمة بين الطلاب وأساتذتهم.

٤٨- الشعور بعدم الكفاءة وفقدان الشخصية.

٤٩- عدم وجود رقابة مشددة على كتب بعض الدعاة.

٥٠- الضغوط الاجتماعية على الفتاة الشرقية.

٥١- عدم العناية بخلق جسور ثقة وحوار بين الشباب وبين رجال السياسة والإعلام والأحزاب المختلفة.

٥٢- فشل المراهق فى تنمية هوية شخصية.

٥٣- عدم إتاحة الفرصة لمزاولة الهوايات والنشاط الرياضى.

٥٤- شعور الشباب بالقلق والتوتر النفسى.

٥٥- عدم قدرة الشباب على تفهم المعلومات التى يتحدثون عنها ويتجادلون فيها.

٥٦- عدم قيام الأسرة والمدرسة ومركز الشباب بدورهم.

٥٧- الانطواء على النفس.

٥٨- عجز الفرد عن استثمار إمكاناته وقدراته ومواهبه.

٥٩- عدم إجادة بعض خطباء المساجد الحديث بلغة سليمة.

٦٠- التغيرات الاجتماعية والفكرية التى يشهدها المجتمع المصرى.

٦١- الفجوة بين الإعلام المصرى «المقروء والمسموع والمرئى» وبين الشباب ومشاكلهم الحقيقية.

٦٢- زيادة عدد الطلاب داخل الفصل الدراسى الواحد.

٦٣- الأمية بمعناها الحرفى (أمية القراءة والكتابة).

٦٤- عدم الاهتمام بمراكز الشباب.

٦٥- الأمية الثقافية والتاريخية فالشباب لا يعرفون شيئًا عن تاريخ بلدهم.

٦٦- هجرة عدد كبير من أبناء الريف إلى المدن بحثًا عن العمل.

٦٧- التغيرات الجذرية التى تحدث فى النظم الاجتماعية والسياسية فى المجتمع.

٦٨- رفض الأنظمة الثقافية والعقلية السائدة.

٦٩- عدم قراءة الشباب لكل ما هو جديد فى الثقافة والفنون المختلفة.

٧٠- تركيز معظم اهتمام إعلامنا على ما يدور فى القاهرة الكبرى والإسكندرية فقط.

٧١- عدم مشاركة الشباب فى الأنشطة الرياضية والثقافية ... إلخ.

٧٢- عدم القدرة على تكوين صداقات جادة وعميقة بين الطلاب.

٧٣- عدم المساواة بين الجنسين.

وبسؤال عينة الدراسة عن أهم عشرة عبارات من وجهة نظرهم، كأسباب ودوافع قوية تؤدى للتطرف الدينى جاءت إجاباتهم على النحو التالى:

١ - الفهم الخاطئ لتعاليم الدين.

٢ - تعصب المتطرفين دينيًا لفكرهم.

٣ - التفكك الأسرى وعدم وجود الموجه والمتابع القريب من الشباب.

٤ - ظهور عادات وتقاليد جديدة تتناقض مع الإسلام.

٥ - عدم وجود رقابة مشددة على كتب بعض الدعاة.

٦ - الأمية الدينية التى ولدت فراغًا دينيًا رهيبًا لدى الشباب.

٧ - اهتزاز قيم ومبادئ وسلوكيات الشباب.

٨ - نقص التوعية الدينية السليمة.

٩ - انصراف الشباب عن التعليم الدينى.

١٠- الحماس الدينى الذى لا يقوم على أساس منطقى.

(٦) النظريات المفسرة للتطرف الدينى

يوجد العديد من المداخل لتفسير التطرف الدينى، وكما يشير «يوسف القرضاوى» فإن كل مدخل يركز على عامل بعينه، بينما إنه من الموضوعية أن نعطى اعتباراً لكل العوامل، فهناك مثلاً أصحاب المدرسة النفسية الذين يرجعون ظاهرة التطرف لأسباب نفسية خالصة، كثيراً ما تكمن فى العقل الباطن أو اللاشعور وبخاصة مدرسة التحليل النفسى وأبرز روادها «فرويد»، وهناك المدرسة الاجتماعية التى تحاول رد أسباب التطرف وعوامله إلى تناقضات المجتمع، ولعل أبرز ممثلى هذا الاتجاه هو عالم الاجتماع الفرنسى «إميل دوركيم»، إلى جانب ذلك يعترف أصحاب النظرة الشمولية بأن الأسباب متشابكة ومتداخلة وكلها تعمل بأقدار متفاوتة، وقد يقوى أثرها فى شخص ويضعف فى آخر، ولكنها جميعًا لها فى النهاية أثرها الذى لا يحمد.

وفى هذا الإطار سوف نتناول عرضًا مختصراً لبعض النظريات المفسرة للتطرف الدينى على النحو التالى:

أ - التفسيرات الاجتماعية للتطرف الدينى.

* النظرية البنائية الوظيفية.

ب- التفسيرات النفسية للتطرف الدينى.

١ - نظرية التعلم الاجتماعى.

٢ - الإحباط - العدوان.

٣ - التطرف السلوكى كأسلوب استجابة.

وفيما يلى توضيح لتلك الأبعاد السابقة.

(أ) التفسيرات الاجتماعية للتطرف الدينى

اهتم علم الاجتماع بدراسة ومعالجة قضايا الشباب فى صلتها بالمجتمع، واهتم بدراسة الظواهر المرتبطة بسلوكهم واتجاهاتهم المتطرفة والثورات الطلابية

والثقافات الانعزالية والتمرد والرفض، ودراسة قيمهم السلوكية ودرجة مشاركتهم الثقافية والسياسية، ودورهم فى عمليات التغيير والبناء والتنمية.

وذلك فى ضوء الواقع الاجتماعى والاقتصادى والسياسى للمجتمع وعلاقته وأثره على جميع هذه العوامل، على اعتبار أن الشخصية نسق تتساند فيه الدوافع والقدرات العقلية والجسمية «الفطرية والمكتسبة»، مع القيم والمعايير السائدة فى المجتمع وأساليب التنشئة التى تهيئ الأفراد لأداء الدور المتوقع منهم فى المجتمع.

وقد اتجهت بعض المعالجات فى هذا المجال إلى إرجاع العديد من الأنماط السلوكية التى يلجأ إليها الشباب كالتطرف، والرفض، والانعزالية، والاغتراب، ... إلخ، إلى أسباب تتعلق بالواقع الاجتماعى الذى يعيشونه.

هذا الواقع الاجتماعى قد تناوله بالتفسير العديد من النظريات الاجتماعية منها على سبيل المثال لا الحصر النظريات التالية:

١- النظرية البنائية الوظيفية.

٢- الهامشية الاجتماعية.

٣- نظريات الحرمان.

٤- نظرية المجتمع الجماهيرى.

٥- صراع الأجيال.

ولكن سوف نكتفى بعرض النظرية «البنائية الوظيفية» فقط وذلك لأن النظريات السابق ذكرها تخلط بين التطرف والإرهاب.

- **النظرية البنائية الوظيفية:**

تعتبر البنائية الوظيفية من أكثر اتجاهات الفكر الاجتماعى واقعية، حيث ترتبط بالتحليل المنهجى المنظم للوقائع الاجتماعية، والأوضاع القائمة والوظائف التى يؤديها النسق الاجتماعى على مختلف مستوياته، موضحة أن تصرفات الأفراد أو أفعالهم ليست عشوائية ولكنها ترتبط بالبيئة الاجتماعية.

وتمثل البنائية الوظيفية منظوراً تكامليًا ينظر إلى المجتمع كوحدة بنائية مرتبطة ومتساندة مع المجتمعات الأخرى، وإلى البناءات الجزئية كوحدات فرعية مرتبطة ومتساندة بدورها مع الأبنية الأخرى لتتسق جميعها فى الوظيفة الأصلية للبناء الاجتماعى Social Structure.

وكما يرى «هربرت ماركيوز» فهذه البناءات تؤدى وظائفها من خلال نسق علاقى بين المراكز الاجتماعية التى يؤديها الأعضاء وتحدد لهم أدوارا خاصة، وهكذا تسهم الوظيفية فى قضية فهم النظام العام للمجتمع وفى إمكانية التنبؤ بطبيعة العالم الاجتماعى، وتمثل مدخلاً أكثر تكاملاً يقوم على دراسة وتحليل البناء الاجتماعى ومكوناته، ومدى قدرته على إشباع حاجات الأفراد وتهيئة المناخ الملائم للنمو والتكيف والتوافق.

وهذا المدخل لدراسة السلوك كما يشير «ستون Stone» يوضح أن البناءات الاجتماعية توجد ضغوطًا واضحة يتعرض لها بعض الأفراد فى المجتمع، بسبب دوافع غير مشبعة مما يدفعهم إلى عدم التوافق، إذ إن عجز البناءات الاجتماعية عن تهيئة المجالات التى تشبع الاحتياجات الأساسية للأفراد يعرضها للإحساس بالضغوط ويولد لديها مشاعر الإحباط، ويؤثر فى أساليب استجابتها وخاصة إذا كان إحساسها بالحرمان لا يرجع لتقصير منها بل يرجع إلى ظروف ترتبط بإمكانيات البناء الاجتماعى والفرص التى يهيئها.

وهذا يوضح أهمية الأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية فى المجتمع وتأثيرها على مشاعر الإحباط والتطرف، التى ترتبط بإحساس الفرد بمكانته الاجتماعية «His Social Status» وبالدور الذى يؤديه فى المجتمع ومدى التوافق بين هذا الدور وبين توقعاته للمكانة التى يؤهله لها.

وتقوم هذه النظرية على مسلمة أساسية وهى أن التوازن والاستقرار هما الأساس فى المجتمع وافتقادهما هو الاستثناء، وتنتج ظاهرة التطرف الدينى حسب مسلمة هذه النظرية من عدم التوازن أو الاختلال الوظيفى، فيشير «جونسون» فى هذا الإطار إلى أن الاختلال الوظيفى هذا يحدث عندما يعجز

obeikandi.com

أحد الأنظمة المكونة للمجتمع من أداء وظيفته التى تحفظ التوازن، فإذا لم يحدث إجراء إصلاحى فإن النظام الاجتماعى سوف يفقد توازنه ككل وتصبح الثورة هى طريق التغيير.

وتعقيبًا على ما سبق، يرى أصحاب الاتجاه الوظيفى أن التطرف الدينى إنما ينشأ بسبب فشل وتعثر النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية على مواجهة المشكلات الاجتماعية والاقتصادية السائدة فى المجتمع وذلك لغياب المؤسسات والأبنية اللازمة للقيام بتلك المهمة أو نظراً لضعفها وهشاشتها.

ونخلص من خلال ما سبق، إلى أن ظاهرة التطرف الدينى هى وليدة التغيرات التى تراكمت فى مجتمع ما بحيث أصبحت قيمه ومعاييره ونظمه أى معظم أساليب الفكر والعمل فيه لا تشبع حاجات الأفراد ولا تتلائم مع المتغيرات التى يمر بها المجتمع مما يجعل أفراده يستشعرون القلق الاجتماعى الذى يدفعهم إلى القيام بسلوك جمعى تحكمه أيديولوچية أو مجموعة من المعتقدات الدينية يهدف إلى تغيير هذه الأنماط الاجتماعية «Social Patterns» القائمة.

(ب) التفسيرات النفسية للتطرف الدينى

(١) نظرية التعلم الاجتماعى

أشار الباحثون بناءً على الأساس النظرى لنظرية التعلم الاجتماعى إلى أن التطرف هو اتجاه يتم تعلمه واكتسابه بنفس الطريقة التى تكتسب بها سائر الاتجاهات النفسية والاجتماعية، حيث يتم تناقله بين الأشخاص كجزء من المحصلة الكبرى لمعايير الثقافة وأن عملية الاكتساب هذه تتم من خلال عملية التنشئة الاجتماعية وقنواتها المختلفة والمتمثلة فى الوالدين والمدرسين والأقران فضلاً عما يمكن أن تسهم به وسائل التخاطب الجماهيرى فى هذا السياق، فهذه القنوات كلها تعد نماذج يمكن من خلالها تعلم أنماط السلوك.

وعند تناول النماذج الاجتماعية السابقة لتحديد أثرها على نشأة الاتجاهات المتطرفة يشير «باندورا Bandura» إلى أن الأسرة وخاصة الوالدان

يقومان بدور كبير فى تعليم أبنائهم الاتجاهات الدينية المتطرفة، حيث يوجد ارتباط متسق بين اتجاهات الآباء عمومًا ومثيلتها التى توجد لدى أبنائهم، فالأطفال يلاحظون اتجاهات وسلوك والديهم فى المواقف المختلفة ويلقطون العديد من تلك الاتجاهات والمظاهر السلوكية فى استجاباتهم نحو الأشخاص الآخرين.

ويؤكد على ما سبق دونالد كيندر، ديفيد سيرز «Donald Kinder and Daivd Sears» حيث يشيران إلى أن التطرف إنما يرجع اكتسابه إلى التعلم «الثقافى - الاجتماعى» فالأطفال والمراهقون يكتسبون الاتجاهات المتطرفة بالتوازى مع قيمهم واتجاهاتهم السوية من البيئة الاجتماعية وأن القوى الداخلية للاتجاهات المتعلمة مبكراً تفرز استمرار التطرف خلال حياة الإنسان فيما بعد.

نخلص مما سبق من خلال منحى التعلم الاجتماعى، أن استجابة الفرد المتطرفة هى كأى سلوك اجتماعى «Social behavior» آخر له أسسه العميقة فى سنوات التنشئة حيث يتم تكوين هذا الاتجاه من خلال قنوات التنشئة الاجتماعية، حيث تلعب السلطة الوالدية، سلطة المدرس، جماعة الأقران، وسائل الإعلام «إذاعة - تليفزيون - صحف - مجلات - كتب»، دوراً كبيراً فى عملية التطبيع الاجتماعى للفرد واكتسابه اتجاهاته عامة واتجاهاته المتطرفة بصفة خاصة.

(٢) الإحباط - العدوان:

مشاعر الإحباط التى تهيمن على شعور الغالبية من شبابنا إنما مرجعه الأول إلى عدم إشباع لحاجاتهم النفسية وهذا الشعور بالإحباط يولد فكراً متطرفًا يتجه بكل قوته ضد مسبب هذا الإحباط، وغنى عن البيان أن السبب الرئيسى لهذا الإحباط المولد للتطرف من وجهة نظر الشباب هو المجتمع ممثلاً فى قياداته وأنظمته والتى يعتبرها الشباب مسئولة مسئولية كاملة عن عدم إشباع حاجاتهم.

وفى هذا الإطار نرى أن هذا الإحباط مرتبط بإحباطات أخرى فرضتها الأوضاع الاجتماعية مما أدى إلى زيادة معدلات الإحباط بين مجموعات الشباب الذى غاب عنها الأمل فى مستقبل مهنى وأسرى، فالإحباط والشعور بالقلق ناتج عن عدم الشعور بالاستقرار والأمان، هذا ساعد على استقطاب العديد من هؤلاء الشباب لاعتناق الفكر الدينى المتطرف وتحويل الإحباط من كونه ذاتيًا إلى كونه اجتماعيًا يأخذ شكل الرفض الاجتماعى، فاعتناق الشباب والمراهقين لهذا الفكر الدينى المتطرف إنما هو بديل لما يعانيه هؤلاء الشباب من الإحباط والحرمان النفسى.

وعن العلاقة بين الإحباط والتطرف نشير إلى أن أهم العوامل التى تجعل الناس مستهدفة للانجذاب إلى التطرف هو السخط العام بين الجماهير على الظروف المحيطة ولهذا دائمًا ما يرتبط ظهور التطرف وشيوعه فى مجتمع ما بشعور الأفراد بأن معاييرهم وقيمهم الحضارية التى اعتادوا عليها لم تعد كافية لمنح ما يرضيهم.

وقد تعددت الأبحاث التى قامت لاختبار فرض الإحباط - التطرف باختلاف صور التطرف: «دينيًا - سياسيًا - اجتماعيًا»، ففى مجال التطرف الدينى أشار «جلوك» إلى أن هناك عدة أنواع من الإحباطات التى تؤدى إلى التطرف الدينى حيث أشار إلى أن هذه الإحباطات قد تكون: اقتصادية، عضوية، أخلاقية، فيزيقية، وانتهى إلى أن الحرمانات الفيزيقية هى أكثر أنواع الحرمان التى تؤدى إلى تكوين الفرق الدينية وأن رد الفعل الدينى هذا للإحباط يظهر عندما تكون أسباب الإحباط يصعب ضبطها أو التحكم فيها، ولهذا يرى «جلوك» أن الأنشطة الدينية هذه هى تعويض عن الشعور بالحرمان والإحباط أكثر من كونها فعلا لمحو أسبابه.

(٣) التطرف السلوكى كأسلوب استجابة:

تناول السلوكيون التطرف باعتباره خاصية لنمط سلوكى يتسم بعدم التدرج والاندفاعية فى القبول أو الرفض وبالتالى عدم النضج أو التكامل

الاجتماعى، وأن التطرف يمكن أن يكون فى اتجاه التشدد أو التمسك المتصلب بمعايير معينة من السلوك، أو فى اتجاه التخلل والتحرر المفرط فى تلك المعايير والقواعد السلوكية فالتحرر الزائد أو الليونة المفرطة يمكن أن يكون عرضًا من أعراض ضعف الأنا وعدم مقاومتها للمغريات التى تجنح إلى الانحراف وسوء التوافق.

ويشير العلماء إلى ثمة مكونات نفسية مهمة تكتنف الاستجابات المتطرفة أو تمثل عوامل مهيئة لحدوثها وتتمثل هذه المكونات فيما يلى:

١ - **التصلب:**

ويشير مفهوم التصلب بوجه عام إلى العجز النسبى عن تغيير المرء لتصرفاته واتجاهاته عند ما تتطلب الظروف الموضوعية ذلك، ويصدر السلوك المتصلب كاستجابة لموقف قد يكون مهدداً لطمأنينة الشخص أو مقيداً لتلقائيته واستقلاليته كما يمكن أن يصدر كعادة ثابتة من عاداته تكمن وراء سمة مزاجية مستقرة، فالمتطرفون إيجابيًا فى اتجاهاتهم الدينية أى المتشددون إنما يتميزون بالتصلب، كما أن المتطرف إنما يتميز بالجمود وعدم المرونة فى التعامل مع الآخر وهو لا يعترف بخطئه ولا يقيم حواراً مع الآخر ولا يميل إلى الاطلاع على فكره.

٢ - **الإحساس بالهامشية:**

يشير السلوكيون إلى أن الإحساس بالهامشية وما يستتبعه من شعور بعدم الطمأنينة هو أساس لتطرف الاستجابة، وتعرف الهامشية على أنها نمط من الحياة على هامش الجماعة التى ينتمى إليها الفرد وعدم قبوله بشكل عام كعضو فيها.

والهامشية كما يشير السلوكيون تفضى إلى حالة من فقدان الإحساس بالطمأنينة وعدم الأمان وزيادة التوتر، وبالتالى النفور من هذه الحالة أو الموقف الذى يتسم بالغموض وعدم الوضوح حول مكانة المرء بشكل يفضى فى النهاية

إلى إصدار استجابة سلوكية متطرفة فى اتجاه الرفض المتشدد لهذا الواقع أو اللامبالاة والتحلل من أية متطلبات أو التزامات حيال هوية المرء أو تصوره لذاته.

٣ - عدم تحمل الغموض:

يقصد بالنفور من الغموض الميل لإدراك أو تفسير المواقف الغامضة باعتبارها مصادر للتهديد، أما تحمل الغموض فيعنى الميل لإدراك المواقف الغامضة على أنها جذابة.

ويمكن تعريف الموقف الغامض على أنه ذلك الموقف الذى لا يستطع الفرد أن يصنفه فى فئة محددة بسبب عدم وجود دلالات كافية على ذلك، فالمواقف الغامضة هى مواقف تتميز بالحداثة والتعقيد وعدم القابلية للحل.

ويشير «بودنر» إلى أن الاستجابة للإحساس بالتهديد وعدم الطمأنينة التى يعيشها الأفراد تنقسم إلى قسمين هما: الخضوع والرفض، ويعنى الخضوع إدراك الموقف كحقيقة وجودية غير قابلة للتوضيح ولا يستطيع الفرد أن يغيرها، أما الرفض فيعنى أداء فعل ما يتغير به الواقع الموضوعى على الأقل فى عالم الفرد الفينومينولوجى لكى يلائم رغبات المدرك.

(٧) موقف الدين الإسلامى من التطرف الدينى

التطرف والغلو والتشدد وتجاوز حد الاعتدال، كلها ظواهر ليس لها أصل أو جذور فى الإسلام، فالإسلام دين محبة وحوار وجدال بالتى هى أحسن، فيقول «الله سبحانه وتعالى»: ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[النحل: ١٢٥]، وقد حذر «الرسول الكريم ﷺ» من التطرف أو الغلو لما يترتب عليه من عواقب وخيمة فيقول الرسول الكريم :« إياكم والغلو فى الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو فى الدين»[النسائى وابن ماجه].

وأول عمل قام به الرسول الكريم ﷺ كان المؤاخاة بين مهاجر ومهاجر وبين مهاجر ويثربى، ثم إقامة صلح مع اليهود، ثم بنى دولة على ركائز قوية ودعائم ثابتة وأراد المسلمون أن يأخذوا من كتاب الله فحثهم على التعلم والتعليم وأمرهم أن يأخذوا العلم ولو فى الصين، وفى مجال العدل قال لهم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[النحل: ٩٠]، وفى مجال المساواة قال: «لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى إن أكرمكم عند الله أتقاكم»[مسند أحمد]، أما فى مجال الوحدة قال: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[الحجرات: ١٠]، و«تآخوا أخوين أخوين»[فتح البارى لابن حجر].

فالإسلام قد نهى عن الغلو والتطرف، فيقول الله عز وجل: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾[المائدة: ٧٧]. و ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ ﴾ [النساء: ١٧١]، وقد نبه الشيخ «محمد الغزالى» إلى أن التطرف يسيئ إلى الإسلام وييسر الطريق أمام الذين يفترون عليه.

فالدين الإسلامى دين يسر لأنه دين الوسطية والتى تعنى الاعتدال ورفض التطرف فى سائر الأمور هكذا أراد الله لدينه وأراد للأمة التى تدينت بهذا الدين.

قال تعالى ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾[البقرة : ١٨٥].

وقال تعالى :﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣].

ووسطية هذه الأمة الإسلامية إنما هى مستمدة من وسطية منهجها ونظامها ، فهو منهج الاعتدال والتوازن الذى سلم من الإفراط والتفريط، أو من الغلو والتقصير ومن ثم كان من حكمة الله تعالى أن اختار الوسط شعاراً مميزاً لهذه الأمة التى هى آخر الأمم، ولهذه الرسالة التى ختم بها الرسالات الإلهية وبعث بها خاتم أنبيائه رسولاً للناس جميعًا رحمة للعالمين.

وفى ضوء ذلك يشير «فهمى هويدى» قائلاً: «إن للإسلام أسلوبًا فى الدعوة واضحًا ، ولا يحتمل اللبس، يقوم على الحكمة والموعظة الحسنة بنص القرآن الكريم، ودعاة العنف هؤلاء إما أنهم جاهلون بأصول الدعوة ومنهجها ويفرضون أنفسهم على الإسلام زوراً وبهتانًا ، أو أنهم عارفـــون ومتجاهلـــون أو عارفون ومنتحلون، وهؤلاء وهؤلاء يخربون المسيرة الإسلامية ذاتها بأكثر من تخريبهم لأى شىء آخر.

وكما يؤكد الباحثون والمتخصصون فالفكر التربوى الإسلامى قد حرر الفكر الإنسانى من الجمود وسما به عن الارتكان فى حمأة التقليد، ولم يسمح له بالانطلاق وراء الوهم والخيال بل رسم له الحدود ووضع بين يديه المعالم على الطريق، لذلك دعا الناس إلى التأمل فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله فى هذه الدنيا من عجائب وأودع بين جنباتها من غرائب وأسرار، دعاهم إلى هذا التأمل لكى يصل بالعقلاء منهم إلى نتيجة لا شك فيها ، وهنا يقول سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) ﴾[الغاشية : ١٧ - ٢١].

وقد ذكر «الله» لنا فى قصة «إبراهيم عليه السلام» نماذج حية ترينا كيف يكون التفكير السليم وكيف يتدرج المؤمن فى إقناع الكافر بالوسائل

المحسوسة والأدلة الملموسة، ويذكرنا الله بقصة إبراهيم عليه السلام مع عبدة الكواكب حينما يتدرج بهم ليقنعهم أن عباداتها باطلة حيث يقول سبحانه: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٥ - ٧٩].

وكذلك نجد «الله سبحانه وتعالى» وهو يبغض ويحذر من الجمود والتقليد، يوضح لنا فى أسلوب منطقى يجابه به هؤلاء المشركين الذين جمدوا على عباداتهم الباطلة وعاداتهم الجاهلية وتقاليدهم الموروثة فيفضح بالمنطق الإسلامى السليم جهلهم ويسخر من عقولهم المريضة، وقلوبهم العمياء.

ومن الأمثلة الرائعة على سمو الفكر وانطلاقه من سجن الجمود عملاً بمبادئ الإسلام واتباعًا لتوجيهاته السديدة فى احترام الرأى الصائب مهما كان صاحبه، موقف أمير المؤمنين «عمر بن الخطاب رضي الله عنه» من المرأة التى أرشدته إلى خطأ وقع فيه وكيف أنه لم يستبد به الغرور أو يبطره الجاه والسلطان أمام امرأة جابهته بكلمة الحق، بل إنه استضاء بنور العقل والبصيرة وشكر للمرأة صنيعها وحسن توجيهها.

فقد روى أن «عمر بن الخطاب رضي الله عنه» وقف يخطب فى النهى عن المغالاة فى المهور ليضع لها حداً أعلى ويقول: لا تزيد مهور النساء على أربعين أوقية فمن زاد، ألقيت الزيادة فى بيت المال، فقالت امرأة من النساء، وقالت وهى تصيح: ما ذلك لك يا عمر، قال عمر: ولم؟ قالت: لأن الله يقول: ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[النساء: ٢٠]، فأشرق وجه «عمر بن الخطاب رضي الله عنه» بالسرور وقال فى تواضع المؤمن: أصابت امرأة وأخطأ عمر، فيا له من سمو فى

الفكر أبعد صاحبه عن الجمود أمام رأيه حينما وضع خطأ، فارتد عنه واتجه إلى شريعة الحق والصواب.

وفى ضوء هذا المنهج المعتدل المتسامح نشير إلى أن القرآن الكريم يوجه الفكر الإنسانى ليعصمه من أمواج الفتن وليبعده عن هاوية التقليد والجمود والتعصب والتطرف، ويسمو به إلى المستوى الكريم الذى يريده الحق من الباطل وفى هذا الطريق سار نبى الإسلام «سيدنا محمد ﷺ» وأصحابه الراشدون فكان «رسول الله ﷺ» عطوفًا متسامحًا عادلاً تتسم أفعاله بالرحمة حتى مع أصحاب المعتقدات المناهضة والديانات الأخرى، فما بالنا إذاً بكيفية التعامل مع المسلمين، فكان «رسول الله ﷺ» يحترم الرأى الرشيد وينفذه وكان ﷺ يرخص لمن بعده من أصحابه أن يجتهد برأيه فى المسائل التى لا يجد فيها نصًا فى الكتاب أو السنة معلنًا أن من اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد فأخطأ فله أجر.

وتعقيبًا على ما سبق، فالإسلام نهى عن الغلو والتشدد فى الدين فكان «الرسول ﷺ» يدعو إلى التيسير على الناس والرفق بهم، و«الله سبحانه وتعالى» لا يكلف نفسًا إلا وسعها، إذ قد يضيق البعض على الناس فيحرمون ما أحل الله ويخرجون عن مبدأ الإسلام الحق الذى هو نهج وسط يتجلى فيه التوازن والاعتدال، بعيداً عن طرفى الغلو والتفريط وهذا المبدأ وضعه «الله سبحانه وتعالى» لأمته بقوله فى كتابه الكريم: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[البقرة: ١٤٣].

ولقد روى «ابن عباس رضى الله عنهما» عن «النبى ﷺ» قال: «إياكم والغلو فى الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو فى الدين»[رواه أحمد]، وما نهى «الرسول ﷺ» عن هذا الفعل إلا لأنه يدفع إلى التشديد فى الأمور الصغيرة، ولذلك نجده يحذر أتباعه من كثرة الأسئلة التى تنتهى بهم إلى هذه المرحلة وذلك حين قال: إن أعظم المسلمين جرمًا: رجل سأل عن شىء لم يحرم فحرم من أجل مسألته، وقال ﷺ: «إذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم» [رواه البخارى وأحمد].

وما خُير «رسول الله» بين أمرين إلا واختار أيسرهما فيروى عنه ﷺ أنه قال: «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه»[البخارى والنسائى]، وعن ابن ثعلبة الخشنى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبى ﷺ قال: «إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودًا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها».
[السنن الكبرى للبيهقى]

والإسلام كما هو معروف صفته الأولى سعة الصدر مع الخصوم، يقول «الله تعالى» فى سورة التوبة: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [التوبة : ٦]، والإسلام دين اقتناع وإقناع، لا دين إكراه وقوة وشعاره: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[البقرة: ١١١]. والمسلم إنسان متوازن معتدل فى فعله ومعتقده وليس عنيفًا ولا معسراً على نفسه ولا على الآخرين.

وفى ضوء الإطار السابق، فالتطرف بأى صورة من صوره لا يوافق عليه أى إنسان يستخدم عقله وفكره، وذلك لضرره على المتطرف ذاته وعلى غيره ومجتمعه ومن هنا جاء العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تنكر التطرف، ومن أهمها الآتى:

(١) نهى الإسلام عن الإلحاد ودعا إلى الإيمان فى أكثر من نص فى القرآن والسنة، وساق عليه كثيراً من الأدلة الكونية، ونهى عن المغالاة فى الاعتقاد وتصور الذات الإلهية على مثال المخلوقات، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾[الإخلاص: ١:٤]. وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١].

(٢) نهى عن التقليد الأعمى للآباء والأجداد والسادة والكبراء، ودعا إلى استقلال الفكر والشخصية فكل نفس بما كسبت رهينة، ولا تزر وازرة وزر أخرى، ولا تكسب كل نفس إلا ما عليها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ

obeikandi.com

تعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤]، كما طالب القرآن الكريم بالدليل والبرهان، فقال سبحانه: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[البقرة: ١١١].

(٣) نهى عن التطرف في الاستدلال بالاعتماد على الظنون وقال سبحانه: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم: ٢٨]، كما نهى عن التعجيز كقوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً (٩٣)﴾ [الإسراء: ٩٠ - ٩٣].

(٤) نهى عن تحكم الهوى فى الاستدلال بالنصوص، أو فى اختيار الأدلة والأقوال المرجوحة وإيثارها على القوية الراجحة، بالأولى النهى عن اختلاف الأدلة ونسبتها كذبًا إلى مصدر التشريع، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾[القصص: ٥٠]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ﴾[يونس: ٦٩]، وفى الحديث الشريف: «من كذب على متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»[رواه البخارى ومسلم]، ولذلك تورع كثير من الأئمة وكبار السلف عن الجرأة على تفسير القرآن بغير علم، وقد سُئل «أبو بكر الصديق رضي الله عنه» عن تفسير حرف من القرآن فقال: أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى وأين أذهب وكيف أصنع إذا قلت فى حرف من حروف الله بغير ما أراد تبارك وتعالى.

(٥) نهى عن التطرف فى الحكم والتعصب للرأى الاجتهادى منعًا للفتنة وسداً لباب النزاع والفرقة قال تعالى: ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، و«النبى ﷺ» كان أكثر الناس مشاورة لأصحابه فيما لم ينزل فيه وحى، وإذا رأى الصواب عند أحد منهم أخذ به، فقد عدل عن رأيه فى الموقع الذى نزل فيه فى غزوة بدر وأخذ برأى «الحباب بن المنذر» عن رأيه فى إعطاء الأحزاب ثلث تمر المدينة ليرجعوا عنها حقنًا للدماء، وصوب «النبى ﷺ» رأى كل من «أبى بكر وعمر رضى الله عنهما» فى صلاة الوتر قبل النوم أو بعده.

(٦) وكما نهى الإسلام عن التطرف فى الرأى والعقيدة نهى عن الانحراف فى السلوك، بالتسيب والإهمال الكلى والجزئى، قد أمر بطاعة الله ورسوله ونهى عن معصيتهما، والآيات والأحاديث أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر، يكفى منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣].

(٧) ونهى عن التطرف فى السلوك بالمغالاة، داعيًا إلى القصد والاعتدال والنصوص فى ذلك كثيرة يكفى منها قوله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[البقرة: ٢٨٦]. وقوله: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: ٦]، وقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، وقول «النبى ﷺ» لمن عزموا على الصيام أبداً وعلى قيام الليل أبداً، وعلى عدم التزوج: «أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى» [رواه البخارى ومسلم].

إلى غير ذلك من النصوص التى كان ﷺ يصحح بها مفهوم الناس عن التدين، داعيًا إلى اليسر ناهيًا عن العسر كما وجهه ربه عند قيام الليل ألا يشق على نفسه وعلى من يصلون معه حتى لا تخور قواهم فيعجزوا

عن أداء الواجبات الأخرى فى تحصيل العيش والجهاد فى سبيل الله، فقال سبحانه وتعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠].

وفى ضوء العرض المختصر السابق لموقف الإسلام من التطرف الدينى نستخلص عدداً من المؤشرات على النحو التالى:

(١) الإسلام دين يسر ووسطية واعتدال.

(٢) الإسلام دين نهى عن التطرف فى الرأى والعقيدة والتدين.

(٣) الإسلام دين نهى عن الإلحاد والمغالاة فى الاعتقاد والسلوك.

(٤) الإسلام دين يدعو لنبذ التقليد والتعصب الأعمى.

(٥) الإسلام دين يدعو إلى التحرر من الجمود والدوجماتية.

(٦) الإسلام دين يحترم الديانات الأخرى والمعتقدات المناهضة.

obeikandl.com